صوت النساء

صحيفة شهرية تعنى بقضايا المجتمع

معاً من أجل التحرير... معاً من أجل بناء الوطن

2010

23 September NO 323

٢٣ أيلول العدد ٣٢٣

"للمرأة الحق في التعليم بجميع مراحله، ويشمل ذلك الالتحاق بكافة المؤسسات التعليمية بجميع انواعها، والتساوي في المناهج الدراسية والمؤهلات المطلوبة للعمل في حقل التدريس المقرر للجنسين، على اساس قاعدة تكافؤ الفرص بين الجنسين".

وثيقة حقوق المرأة باب الحقوق الاقتصادية والاجتماعية رقم ١٨

صوتنا

موعد مع الحرية

سلسلة لقاءات المفاوضات تشير إلى موقف متشدد من الطرف الإسرائيلي، ومراوغة من أجل كسب الوقت لاستكمال مخططه في ترسيم الحدود كأمر واقع. والمقصود بالحدود ليس حدود دولة أسرائيل فقط بل الحدود التي يسمح للفلسطينيين التواجد فيها. حدود لدولة يصارع مواطنوها على البقاء صغيرهم وكبيرهم، رجالهم ونساؤهم، وممنوعون من التواصل الجغرافي فيما بينهم، يعتمدون على معونات المانحين من أجل البقاء.

ونظرة سريعة على الوضع في الأراضي الفلسطينية، نرى كيف تعمل سلطات الإحتلال من أجل جعل «موعد الحرية» شبه مستحيل. في القدس ما زالت سياسة التهجير للعائلات المقدسية متواصلة، والخيار الوحيد لدى تلك العائلات إما أن تقوم هي بهدم منازلها، أو تقوم الدولة الإسرائيلية بعملية الهدم وتحميل العائلات تكاليف الهدم. كما يتم بناء المعابر في شعفاط، كما هو الحال في جميع المعابر، من أجل ترسيم الحدود التي تمنع الفلسطينيين المقدسيين من الدخول إلى القدس وحرمانهم من هوياتهم المقدسية. والأخطر من ذلك، هو أن تدرج هذه المناطق ضمن تبادل الأراضي والسكان.

وفي غزة، يشتد الحصار، والتضييق على الدخول والخروج من المعابر، وحتى الآن، لم يتم الإعمار، والكثير ممن تهدمت منازلهم نتيجة للحرب الهمجية الإسرائيلية على غزة، اتخذوا من المقابر مسكناً.

وفي غزة كما هو الحال في الضفة الغربية، تزداد أزمة المياه حدة بعد أن استولت دولة الاحتلال على أهم الآبار الجوفية، ومنعها حفر الآبار من قبل الفلسطينيين. وتزداد أزمة المياه بشكل واضح في منطقة الخليل وقطاع غزة وهما من المناطق الأكثر كثافة بالسكان.

موعد مع الحرية له ترجمة واحدة: دولة مستقلة ذات سيادة، عاصمتها القدس، عودة اللاجئين، وطن واحد لا وطنين، اقتصاد مستقل، وعدم الإعتماد في خبزنا اليومي على المانحين. وقد أثبتت تجربة المقاطعة لبضائع المستوطنات أهميتها على الصعيد المحلي وعلى الصعيد الدولي، وأثبتت أنه يمكن لهذا الشعب الأعزل من السلاح أن يقاوم دولة الاحتلال التي تملك ترسانة نووية.

ليست القضية أن نفاوض أو لا نفاوض. المهم أن نرتفع بسقفنا في المفاوضات إلى الثوابت الفلسطينية، فقضيتنا عادلة، ولدينا قرارات الأمم المتحدة، وهناك تغير عالمي ملحوظ بالنسبة للقضية الفلسطينية، وأثبت الفلسطينيون أنهم قادرون على المقاومة بأساليب مختلفة في أكثر من مرحلة.

طاقم شؤون المرأة

معاناة في الطريق إلى القدس

«ما ملكت أيمانكم»

مها التميمي

شهدنا في شهر رمضان الفائت مسلسلات عديدة تستحق المشاهدة كان من أبرزها مسلسل «ما ملكت أيمانكم» من إخراج نجدت أنزور. منذ الحلقة الأولى تعرض المسلسل لهجوم شديد، من قبل الشيخ البوطي وعشرات المواقع الألكترونية الإسلامية، التي طالبت بوقف عرض المسلسل، باعتباره «مصيبة مرعبة ستلحق غضبة إلهية تطال المسلمين». وقد استجابت بعض الفضائيات لهذا الهجوم، بينما اقتصر عرضه على فضائيتين هما المستقبل اللبنانية والفضائية السورية.

المسلسل قدم نموذجين للمتدينين، النموذج الأصولي المتعصب والتكفيري، الذي بلغ مداه بتفجير الأماكن وقتل الأبرياء. نموذج توفيق الذي يحكم قبضته على أخته ويقوم بجلدها، مع أن نتيجة الفحص الطبي تؤكد براءتها، وفي الوقت نفسه يقيم علاقات غير مشروعة مع فتيات، تكون نتيجة العلاقة تشريد فتاة، وقتل سيدة أخرى. توفيق يستغل نفوذه كأمير لجماعة إسلامية جهادية متطرفة، تدّعي الدفاع عن الإسلام. لقد كشف المسلسل هذه الإزدواجية لشخصية «الجهادي»، الذي يستغل احترام الآخرين له باعتباره رجل دين. يشارك توفيق في مفاهيمه واعظة قبيسية، كانت تمارس دوراً سلبياً ومتطرفاً مع الفتيات وحرضت على جلد شقيقة توفيق. مقابل ذلك قدم المسلسل نموذجاً دينياً عقلانياً ومبدئياً، يبعث على الثقة والاحترام، جسد هذا النموذج في المسلسل شخصيات الشيخ عبد الوهاب والشيخ عمار والشاب محمود، الذي كان النموذج الحضاري والإنساني والديمقراطي، أنقذ ليلى من براثن الأصولية، وساعدها على إعادة بناء شخصيتها، وعلى استعادة حريتها واكتشاف نفسها، والشفاء من جروح روحها. من منطلق ديني متسامح ومنفتح ومبدئي.

نجح المسلسل في كشف النموذج الديني الأصولي الزائف، الذي يستخدم الدين لأغراضه الخاصة، لمصلحة نموذج ديني آخر، نموذج إيجابي متسامح، يدافع عن المجتمع والإنسان وحقوقه، ويحترم المرأة ويعترف بحقوقها.

المشاهد لا يرى في الانحياز لاتجاه ديني عقلاني ضد اتجاه تعصبي متطرف، يسيء للدين، كما تشير الحملة التي انطلقت قبل رؤية المسلسل كاملاً.

ويقدم المسلسل نماذج أخرى خطيرة، كشخصية نسيب الهاشمي، التاجر المتنفذ الفاسد، الذي يرعى الدعارة ويوقع الفتيات والنساء في شباكه، ولا يتورع عن تدميرهن وتحويلهن إلى ضحايا، ثم يمضي باحثاً عن ضحايا جديدة. نسيب يبرم الصفقات المالية، ويستخدم رجاله وعائلته في مراكمة الأموال والأرباح. وما يسترعي الاهتمام، هو تلك العلاقة المصلحية بينه وبين توفيق الأصولي الجهادي، حيث يدفع نسيب المال لتمويل الإرهاب داخل المجتمع، بينما يقوم الآخر بتبييض سمعة الفاسد والترويج له، باعتباره محسن كبير، يساعد المحتاجين والفقراء. وإذا كان توفيق قد لقي العقاب في نهاية المسلسل، إلا أن هذه الشخصية الفاسدة، تصعد من خلال الفوز بعضوية البرلمان. وهذه إشارة إلى تعميق ظاهرة الفساد في المؤسسة الرسمية. مقابل ذلك يقدم المسلسل شخصية المدرس أمين، الذي يقوم بدور تربوي هام، ويتعامل بمسؤولية ونزاهة وإخلاص مع تلاميذه، لكنه يقع فريسة تآمر ابن التاجر نسيم، ويعاقب شر عقاب، في إشارة لظاهرة المحسوبية والرشوة التي تخرب المؤسسة التعليمية.

نعم لقد نجح ما ملكت في إطلاق صرخة قوية بوجه الفساد المالي والاجتماعي والأخلاقي، المترافق مع التنامي الكبير لنزعات التطرف الديني.

تناول العمل مسيرة ثلاث شابات دمشقيات، والتحولات التي طرأت على شخصياتهن. الأولى ليلى، وهي من بيئة محافظة جداً وابنة الشيخ عبد الوهاب، التي تمنع من التعبير عن نفسها بكل الطرق، يسكنها الخوف، وتنتابها نوبات من الشعور بالذنب، تجعلها تؤذي نفسها عندما تتصرف كأية فتاة تتفتح على مشاعر الحب. وتصل الأحداث إلى ذروتها بالنسبة لليلى، عندما تجلد في منزلها تحت سمع ونظر والدتها الضعيفة، أمام الأخ الأصولي المتعصب الذي ينصب نفسه مسؤولاً عن تطبيق الشريعة الإسلامية، كما يراها عقله المريض، وبإشراف المعلمة القبيسية، التي تلعب دور المحرض والمساعد له.

الصبية الثانية، هي عليا، شابة جميلة، ولكن ظروفها الأسرية صعبة، فالأب مشلول عاجز، والأم تعمل في الخياطة لإعالة الأسرة، تقع عليا فريسة امرأة لعوب، وتبدأ بتشغيلها واستغلال حاجتها الاقتصادية، لتغرقها في براثن الدعارة، ولكن عليا تقاوم الإغراء، وتحاول الخروج، ولكن ظروفها مرة أخرى تجعلها تائهة مكسورة. أما الصبية الثالثة، فهي نادين، ابنة عائلة مكافحة، الأب أستاذ يكسره الفساد، والأم مشرفة في مدرسة إعدادية، تدفعها تجربة عاطفية فاشلة إلى التقوقع والخوف من الآخرين ومن المجتمع، وتفشل في تحقيق طموحاتها العريضة.

تقول د. هالة دياب كاتبة السيناريو:

«كان الهدف من استخدامي واختياري لتعبير «ما ملكت أيمانكم»، المأخوذة من سورة النساء، ليس تحدياً للمعنى الديني لهذه العبارة، بل بالأحرى للترميز لحال النساء في الشرق، والضغوط التي تمارس عليهن، لتشكيل هويتهن وصياغة علاقتهن بالمحيط الاجتماعي. إن عنوان هذا المسلسل، يحمل رمزاً مجازياً لفكرة الإماء والجواري التي تعيشها المرأة، والفكرة التي نقلت للمشاهد العربي، من خلال عكس هذه الشخصيات المهشمة والمريضة والفاسدة، التي أنجبها الفساد الاجتماعي والأخلاقي والتطرف الفكري وشهوة القوة، «ما ملكت» هو محاولة للتحرر من الخوف، هو التحدث عن الأشياء التي تخيفنا ومواجهتها». تضيف هالة: «جمعت قصص المسلسل لأكثر من ثلاث سنوات، وهي قصص واقعية وليست من نسج الخيال». لقد شكل المسلسل صدمة للمشاهد، وهذا ما قصده المخرج «نجدت أنزور» حسب مقابلة اجريت معه.

إضاءات نسوية

معدلات الأمية في فلسطين من أقل المعدلات في العالم

رام الله- معا

أعلنت علا عوض، القائم بأعمال رئيس الإحصاء الفلسطيني، عشية اليوم العالمي لمحو الأمية، الذي صادف بتاريخ ٢٠١٠/٩/٨ أنه يوجد في الأراضي الفلسطينية ١٢٣ ألف أمي بالغ، مشيرة في نفس السياق، أنه حسب تعريف منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، يعرف الشخص الأمي بأنه هو الشخص الذي لا يستطيع أن يقرأ ويكتب جملة بسيطة عن حياته اليومية.

واستعرضت عوض، أبرز المؤشرات المتعلقة بالأمية في الأراضي الفلسطينية على النحو التالي: معدلات الأمية بين البالغين في فلسطين، تعد من أقل المعدلات في العالم.

اعتبرت علا عوض أن معدلات الأمية بين البالغين في الأراضي الفلسطينية، من اقل المعدلات في العالم، حيث بلغت نسبة الأمية بين الأفراد ١٥ سنة فأكثر ٥,٤٪، بواقع ٢,٦٪ للذكور و٨,٣٪ للإناث في العام ٢٠٠٩، في حين بلغت ٢٧,٦٪ في الدول العربية في الأعوام ٢٠٠٥- ٢٠٠٨، حسب بيانات معهد اليونسكو للإحصاء، وبلغ عدد الأميين في العالم العربي حوالي (٦٠,٢) مليوناً في نفس الأعوام، منهم ٣٩,٣ مليون من الإناث، بواقع نسبة أمية بين الإناث تصل إلى ٣٦,٩٪ مقارنة بـ١٨,٨٪ بين الذكور، وبلغت نسبة الأمية عالمياً بين الأفراد ١٥ سنة فأكثر ١٦,٦٪، وبلغ عدد الأميين في العالم حوالي (٧٩٦,٢) مليوناً منهم ٥١٠,٦ مليون من الإناث، وبلغت نسبة الأمية بين الذكور البالغين في العالم ١١,٨٪، في حين بلغت بين الإناث البالغات ٢١,١٪ لنفس الأعوام.

ترتفع نسب الأمية في التجمعات الريفية عنها في التجمعات الأخرى، وأشارت القائم بأعمال رئيس الإحصاء الفلسطيني، أنه طرأت تحولات واضحة على معدلات الأمية خلال الثلاثة عشرة سنة الماضية، حيث أشارت البيانات إلى الانخفاض الكبير في نسب الأمية منذ العام ١٩٩٧، حيث بلغت نسبة الأمية بين الأفراد ١٥ سنة فأكثر ٥,٤٪ في العام ٢٠٠٩ في حين كانت ١٣,٩٪ في العام ١٩٩٧، وهذا يعني أنه من بين كل ١٠٠٠ فرد عمره ١٥ سنة فأكثر هناك ٥٤ فرد أمي.

وهذا الاتجاه في الانخفاض ينطبق على الجنسين، حيث انخفضت النسبة بين الذكور من ٧,٨٪ في العام ١٩٩٧ إلى ٢,٦٪ في العام ٢٠٠٩، أما بين الإناث فقد انخفضت من ٢٠,٣٪ إلى ٨,٣٪ لنفس الفترة، وكان الانخفاض الأعلى بين الذكور، حيث بلغت نسبة الانخفاض ٦٦,٧٪ في حين أنها كانت بين الإناث ٥٩,١٪. وعلى مستوى نوع التجمع، فقد انخفضت في التجمعات الحضرية من ١٢,٤٪ في العام ١٩٩٧ إلى ٤,٨٪ في العام ٢٠٠٩، بينما انخفضت في التجمعات الريفية من ١٦,٩٪ إلى ٧,٠٪ لنفس الفترة وانخفضت في المخيمات من ١٣,٥٪ إلى ٥,٦٪ للفترة ذاتها.

وكان الانخفاض الأعلى في التجمعات الحضرية، حيث بلغت نسبة الانخفاض ٦١,٣٪، في حين بلغت في التجمعات الريفية والمخيمات ٥٨,٦٪ و٥٨,٥٪ على التوالي. أما على مستوى الجنس، فقد بلغت أدنى نسبة أمية بين الذكور للعام ٢٠٠٩ في الحضر، بواقع ٢,٤٪، ثم الريف بواقع ٢,٨٪، والأعلى كانت في المخيمات بواقع ٣,٢٪. في حين تظهر المؤشرات أن أعلى نسبة أمية بين الإناث، كانت في الريف بواقع ١١,٢٪، يليها في المخيمات بواقع ٨,١٪، ومن ثم الحضر بواقع ٧,٣٪. وأضافت عوض أنه على مستوى العمر، فقد أظهرت البيانات أن نسب الأمية بين الأفراد كبار السن ٦٥ سنة فأكثر، كانت الأعلى، بالمقارنة مع الفئات العمرية الأخرى، فقد بلغت ٥٦,٢٪ في العام ٢٠٠٩، في حين بلغت بين الشباب ١٥-٢٤ سنة ٠,٨ ٪ لنفس العام.

أعلى نسبة أمية في محافظة أريحا والأغوار

وأشارت السيدة علا عوض، أن نسبة الأمية على مستوى المحافظات تتفاوت، فكانت أعلى نسبة أمية بين الأفراد (١٥ سنة فأكثر) في محافظة أريحا والأغوار، حيث بلغت ٧,٦٪، تليها محافظة الخليل بنسبة ٧,٢٪، وكانت أدنى نسبة أمية في محافظة غزة حيث بلغت ٣,٨٪. وأضافت القائم بأعمال رئيس الإحصاء الفلسطيني، أن عدد الأميين في الأراضي الفلسطينية، بلغ حوالي ١٢٣،٠٣٣ أمي، أعمارهم ١٥ سنة فأكثر في العام ٢٠٠٩، يتوزعون بواقع ٨١،٥٢٠ أمي في الضفة الغربية و٤١،٥١٣ أمي في قطاع غزة، وحسب الجنس هناك ٢٩،٥٥٨ ذكر أمي، و٩٣،٤٧٥ أنثى أمية، أما حسب مكان السكن فإنهم يتوزعون بواقع ٧٣،٢٢٩ أمي في التجمعات الحضرية، و٣٦،٧٠٢ أمي في التجمعات الريفية و١٣،١٠٢ أمي في المخيمات.

الخطط المستقبلية لقياس الأمية

أضافت السيدة علا عوض، القائم بأعمال رئيس الإحصاء الفلسطيني، أنه في ظل التحول والتغير الذي طرأ على مفهوم محو الأمية وتعليم الكبار، حيث تخطت مفهوم القراءة والكتابة، لتشمل المقدرة على التحليل والتعامل مع المجردات على عدة مستويات، بالإضافة إلى التعامل مع الرموز المعقدة وكيفية التعامل مع النظريات المعرفية، وترجمتها إلى تطبيق عملي، واستخدام البرامج والمهارات التي تتطلبها الحياة اليومية.

فقد بدأ جهاز الإحصاء في العام ٢٠٠٤، بالتعاون مع معهد اليونسكو للإحصاء (UIS)، وضمن مجموعة دولية على العمل لتنفيذ مسح أسري، لتطبيق برنامج تقييم وتتبع مستويات القرائية (LAMP)، حيث يركز هذا البرنامج على فحص قدرة الأشخاص على استخدام مهارات القراءة والكتابة والحساب في حياتهم، من خلال الإجابة على مجموعة من الاختبارات، من خلال مسح أسري على عينة من الأشخاص في الفئة العمرية ١٥- ٦٠ سنة، حيث كانت فلسطين أول دولة تنفذ التجربة القبلية، وذلك في الربع الأخير من العام ٢٠٠٦، ومن المخطط أن يتم تنفيذ المسح الرئيسي خلال النصف الأول من العام ٢٠١١.

سكان المقابر في غزة

أمنيات النساء والأطفال لا تتجاوز الحصول على مأوى

غزة- فايز أبوعون

جلست المواطنة «ن.ب» (٤٩ عاماً)، بجانب جدار أحد القبور، متوارية عن أنظار زوار المقبرة، الذين ما انفكوا يلجونها يومياً، إما لدفن موتاهم الجدد، أو للزيارة والترحم على موتاهم القدامى، لمراقبة أبنائها المنتشرين في وسطها أو في أطرافها المتناهية الأبعاد.

لم يترك أطفالها الأربعة وأقرانهم من أبناء الجيران شاردة أو واردة إلا ونقلوها لها، سواء كانت عن جنس المتوفي وإسمه أو عائلته، أو عن مظهرهم إن كانوا من ميسوري الحال أو من الفقراء، ومدى تأثرهم لوفاة فقيدهم من عدمه، ليتلقوا منها التعليمات حول كيفية التعامل مع هذه الأسرة، إما بزيادة الطلب والإلحاح على كبارها لمنحهم بعض النقود على سبيل التسول، أو لتقديم المساعدة لهؤلاء الزوار بتزويدهم بالماء لوجه الله تعالى.

يحاول بعض هؤلاء الأطفال من كلا الجنسين جاهدين، التسلل بين جموع المشيعين أكثر من مرة للوصول إلى حافة القبر، فيُطردوا المرة تلو الأخرى، ويُسحبوا من ياقات قمصانهم البالية إلى الخلف، ويُعنَّفوا من البعض إن لم يكن من الجميع، ولكنهم في نهاية المطاف يصلون بشق الأنفس إلى مبتغاهم، ويجلسون عند حافة القبر بالقرب من رأس الميت.

وما أن يوارى جثمان الميت الثرى، حتى تمتد أيديهم بما يحملونه من أوعية مليئة بالماء لملحّدي الميت، الذين يعتقدون للوهلة الأولى أن جلب الأطفال للماء ومد المشيعين به، لترطيب القبر وسد شقوقه بالطين المخلوط بالماء، يأتي من باب كسب الحسنات.

ولكن ما أن ينتهي أهل الميت من دفن ميتهم ويهمون بالمغادرة، حتى تشاهد عشرات الأيدي الصغيرة ممتدة من كل حدب وصوب نحو الجميع منهم دون استثناء.

فهذا الطفل يطلب ثمناً لزجاجته، وذاك يطلب ثمناً لجالونه، وتلك الطفلة تقف على باب المقبرة تستجدي المغادرين للحصول على بعض النقود، كونها لم يُسمح لها بالتسلل كأقرانها الأطفال من الذكور بين جموع المشيعين.

كانوا في بادئ الأمر يصطفون في طابور طويل على أبواب مقبرة بلدة بيت لاهيا شمال قطاع غزة، كأبواب المقابر كلها في مختلف أنحاء القطاع، وبعضهم الآخر ينتشر بين شواهد القبور، وهم يحملون بين أيديهم جالونات وزجاجات بلاستيكية من مختلف الأحجام والأنواع والألوان المليئة بالماء، وما أن يشاهدوا القادمين الجدد من المواطنين الذين يحملون على أكتافهم نعشاً، يضم بين جنباته جثمان ميت عزيز على أهله، حتى يسارعوا الخطى نحوهم، وألسنتهم تلهث بالدعاء له بالمغفرة والرحمة.

هذه المهنة الجديدة القديمة، التي يتوارثها الأبناء عن الآباء ممن يسكنون المقابر، ويزاحمون الموتى العيش بجوار قبورهم، أو من يقطنون بمحاذاتها من العائلات الفقيرة في غزة المحاصرة، لجأوا إليها أو أُجبروا على ذلك، كونهم لم يجدوا ما يسدون به رمق جوعهم، ولا ظمأ عطشهم، في ظل حكومات ومجتمع لم يُعرُهم فيه أحد انتباهه، لينتشلهم من براثن الفقر المدقع، وسوط الجهل اللاسع.

«هنا حيث لا حياة، حيث السكون دائم، اتخذنا من المقبرة مأوى لنا، بعد أن ضاقت بنا الأرض وما عليها رغم اتساعها، نحن وأطفالنا ورجالنا نعيش كالأموات، لا نختلف عنهم إلا بقلوبنا التي لا تزال تنبض، لم يكن هذا المكان خيارنا، بل لأننا لم نعرف غيره، أجبرتنا الظروف عليه بعد أن ضاقت بنا أرض الأحياء فلجأنا إلى أخرى»، هكذا قالت «ن.ب» لـ«صوت النساء».

وأضافت: «لربّما كان سهلاً علينا أن نحتلها، لأن سكانها المسالمون لم يرغبوا في الدفاع عنها، لأنه لا حول لهم ولا قوه، لكن ضريبة العيش هنا لم تكن أبداً سهله علينا، فقد تلونت حياتنا بالسواد، وامتزجت بنكهة الموت، نتظاهر بأن الأمر أصبح طبيعياً لدينا، لكن مآسينا وأوجاعنا وهمومنا تتحدث عن أحلامنا، التي لم تتخطَّ أربعة جدران خارج المدافن وجيران غير الموتى».

فهل أصبح السكن في مقابر القطاع ظاهرة فحسب، أم أنها تحولت إلى مأساة داخل المأساة؟، وهل الحصار والاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على سكان القطاع، هي التي اضطرت العشرات من عائلات غزة إلى مزاحمة الموتى والعيش بجوار قبورهم؟ وهل الحياة بجوار الموتى سهلة، أم أن كل شيء هناك يذكرهم بالموت، ويسرق منهم حتى لُحيظات إحساسهم بالحياة؟ وما هو التأثير النفسي والاجتماعي الذي يترتب على الأطفال لمشاهدتهم اليومية لجنائز الموتى؟ وما هو دور المؤسسات الحكومية والأهلية للحد من هذه الظاهرة، في ظل نذرة المساكن وقلة ذات اليد.

وفي هذا السياق قال الأخصائي النفسي في برنامج غزة للصحة النفسية الدكتور سمير زقوت، إن من يعيشون في المقابر سواء من النساء أو الرجال، أو الكبار أو الصغار، تساوت عندهم الحياة مع الموت، ولذلك فإن مشاهدة الجميع منهم اليومية، سيما الأطفال، للجنائز وهي تأتي لتشييع جثامين الموتى، جعل المعنيين، معنى الحياة ومعنى الموت يتساويان عندهم.

وأضاف زقوت لـ«صوت النساء» إن السكن في المقابر يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع الفقر، لأن من يسكنون هذه الأماكن الموحشة لم يجدوا سكناً بديلاً ملائماً، ولذلك عندما يرتبط الفقر والموت في أذهان الأطفال من كلا الجنسين منذ الصغر، فهذا يدمر نفسيتهم ويخرج منهم المجرمون وقطاع الطرق والمتسولون، كما نشاهد بعضهم اليوم، وكما هو موجود في الكثير من البلدان العربية كمصر وغيرها.

وذكر أن السكن في مثل هذه الأماكن، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفقر، ولهذا يتحول الطفل إلى إنسان لا كرامة له، ومن ثم يتحول إلى متسول وربما إلى مجرم يتخذ من المقبرة ملجئاً له، ومن المواطنين الذين يكونون في حالة حزن شديد على موتاهم، غاية له لابتزازهم.

من جهته قال المختص في الشئون الاقتصادية، والخبير في التنمية البشرية عمر شعبان، إن لانتشار ظاهرة السكن في المقابر ومجاورة الموتى قبورهم، عاملين أساسين هما السبب في ازدياد هذه الظاهرة، أولهما حالة الفقر الشديد التي يعيشها معظم سكان غزة، والذي يزيد عددهم عن الثلثين، وبالتالي أصبحت هذه العائلات غير قادرة على توفير أي خدمات لنفسها أو لأبنائها، أو إعطائهم الاهتمام الكافي من ناحية الرعاية الاجتماعية والصحية والتعليمية، وثانياً زيادة عدد المواليد في القطاع، حيث بلغ نحو ٢٠٠ ألف مولود جديد منذ بدء الحصار على غزة، الأمر الذي زاد من عدد سكان القطاع ليصل إلى نحو ١,٨ مليون نسمة، وهذه الزيادة رافقها تدمير نحو ٥ آلاف منزل، و٧ آلاف شقة سكنية، الأمر الذي أدى إلى تفاقم أزمة السكن.

وأضاف شعبان لـ«صوت النساء»، وبالتالي أصبح هناك بيوتاً مزدحمة بالسكان، حيث أن عائلتين أو أكثر أصبحت تعيش في بيت واحد، وهذا ما جعل البعض يلجئون إلى الهرب إلى المقابر للسكن المجاني بجوار الموتى، مشيراً إلى أن هناك مسؤولية كبرى تقع على عاتق المجتمع الدولي، الذي لم يحرك ساكناً اتجاه الحصار الجائر المفروض على القطاع منذ أكثر من أربع سنوات، ولم يصرف فلساً واحداً في إعادة إعمار البيوت المدمرة، أو إقامة مشاريع إنتاجية، تقضي أو تحد من حالة الفقر المستفحلة.

وبين شعبان أن العائلات التي تضطر إلى اللجوء للمقابر والعيش فيها، هي من العائلات التي تُصنف بأنها تعيش تحت خط الفقر المدقع، وليس لديها الحد الأدنى من مقومات الحياة، محملاً المسؤولية الكبرى للحكومة، قائلاً: «إن أي حكومة يجب أن يكون لها دور أساسي في منع هذه الظاهرة الخطيرة جداً على المجتمع بأسره، ولكن عدم اهتمام الحكومات بهذه الظاهرة، هو محاولة منها لإنكار الواقع المعاش في غزة لهذه الفئة، حتى لا تقع عليها مسؤولية إخراجهم من الواقع المزري الذين يعيشونه وعائلاتهم، لأن ذلك يترتب عليه تأمين سكن وتوفير خدمات صحية وتعليمية وكافة حقوق الفرد على الحكومة والمجتمع».

وأمام هذا المشهد الدرامي الذي اعتاد هؤلاء الأطفال فيه على المكان، حتى أصبح جزءاً منهم، تربوا على مشاهد الحفر ودفن جثث الموتى، فباتت الزيارة اليومية للقبور، والدعاء للأموات هواية بالنسبة للكثيرين منهم. يقول الطفل حسام، الذي كان يقف بجوار بعض الجالونات والزجاجات المليئة بالماء، التي كان يسندها في ظلال أحد القبور: «إحنا عايشين هان، وما بنعرف غير هذا المكان، بطلنا نخاف من القبور والميتين، لأنه كل يوم بنشوفهم، ومرات كثير بنيجي نساعد الناس وبنجيب الهم مية عشان يرشوا على القبر، وبنلعب هان كمان، ولما أكون زهقان من البيت باجي ألعب مع صحابي بين القبور».

وأضاف حسام لـ«صوت النساء»: «ولكن أكثر ما بضايقني ويخليني أخجل، هو أن يسألني أحد زملائي في المدرسة عن عنوان سكني، وأنا أزور أصدقائي وزملائي في منازلهم، حتى لا أضطر إلى دعوتهم لزيارتي في منزلي وسط القبور».

ومن هنا يمكن القول، إنه في العادة يلزم النساء بيوتاً تستقر بها، والأطفال متنزهات يلهون فيها، وحدائق يشتمون عبق زهورها، وفراشات يركضون خلفها، ولكن عند سكان المقابر كل شيء مختلف، إلا من أمنيات النساء والأطفال، التي لا تتجاوز الحصول على مأوى، لا يزاحمون فيها الموتى قبورهم.

تجارب سفر نسائية مريرة على معبر رفح مع مصر

غزة- صوت النساء

هي ذاتها معادلة الألم التي يعيشها الفلسطيني في أي مكان، ترسم لنفسها شكلاً خاصاً على معبر رفح، الذي حال دون أمنية اللقاء، وباتت أسواره أعلى ارتفاعاً من أحلام العالقين خلفه على الجانبين، وكان للمرأة منه نصيب الأسد، ضريبة تدفعها مضاعفة بحكم حسها وإحساسها.

ساعة لقاء وبكاء

هبه، امرأة فلسطينية لم تتجاوز الخامسة والثلاثين من عمرها بعد، حضرت من الكويت بعد زواجها من سمير في العام ١٩٩٩، وتركت خلفها أحلام الطفولة والصبا داخل بيت أهلها المقيمين هناك، ولأنها لم تحصل على هوية تمكنها من لقائهم، وعدم حصولهم على تصريح للعبور إلى قطاع غزة، كونهم من النازحين، غابت عنهم طوال هذه السنوات.

تمر الأيام، ويزداد وقعها ثقلاً على قلب هبه وعقلها، تنام حالمة بلقاء يجمعها بالأعزاء، وقبل عام تحصل هبه على لم الشمل، ولأول مرة يصبح لها هوية تمكنها من استصدار جوازاً للسفر، كانت فرحتها لا توصف بهذا الحدث الاستثنائي، في ظل الإحباط الذي يعيشه الجميع.

باتت تحضر أغراضها للسفر للقاء عائلتها، التي حضرت إلى القاهرة خصيصاً لرؤيتها، غير أن أحلامها اصطدمت ببوابات المعبر المغلقة، وانتظرت دورها في السفر دون فائدة، إلى أن صدر الأمر الرئاسي المصري بفتحه جزئياً أمام الحالات الإنسانية مطلع حزيران الماضي.

وحول تجربتها تقول هبه: «لقد انتظرت طويلاً هذا اليوم، الذي سأرى فيه أهلي، فأنا لم أرهم منذ ما يزيد عن الأحد عشر عاماً، كانت الحسرة تتملك قلبي، وصوت بكائي أثناء حديثي معهم على الهاتف لا ينقطع، لم أصدق يوم أمسكت بجواز سفري الذي سيمكنني من رؤيتهم، شعرت أن المسالة مجرد أيام وألقاهم». وتضيف: «حاولت السفر أكثر من مرة، وفي كل مرة كنت أذهب إلى المعبر انتظر ساعات وساعات، ومعي زوجي وأطفالي لوداعي، لم يتحقق وداعهم لأني لم أسافر، وبقيت على هذه الحال لمدة تزيد عن أسبوعين، إلى أن صدر أمر من الرئيس المصري بفتح المعبر، هنا تجدد الأمل في نفسي مرة أخرى، ولم انقطع عن برنامجي شبه اليومي بالذهاب إلى المعبر، إلا أن أملي كان يتحطم كل مرة لسبب مختلف، مرة بسبب إجراءات حكومة غزة في إعادة المواطنين غير المسجلين لديها، ومرة لخروج المعتمرين، ومرة بسبب سوء المعاملة وتزاحم الناس. كان لانتظاري لقاء أهلي وأنا أمام بوابة المعبر أثر بالغ السوء، فم أعد أتملك عواطفي، وكنت أبكي في كل مرة أعود إليهم، انتهت إجازة أبي من عمله، وكان مضطرا للعودة إلى الكويت، إلا أنني رجوته أن ينتظر أسبوعاً آخراً، وبالفعل تمكنت هذه المرة من الوصول إلى الجانب المصري، إلا أنهم لم يسمحوا لي بالعبور، بحجة أنني لم أحصل على تنسيق يمكنني من دخول الأراضي المصرية. تملكني اليأس، إلى أن أشار علينا أحد الأصدقاء، أن أحاول السفر مرة أخرى من جانبي، وأن يفعل أهلي ذات الشيء، ونلتقي سويا داخل المعبر المصري، قبل إعادتي لعدم حصولي على تنسيق، وإعادتهم بسبب عدم حملهم لبطاقات هوية، وهذا ما حدث بالفعل، وهناك كان البكاء مريراً، فرحة باللقاء وحزناً لعلمنا أنه سينتهي بعد وقت قصير، ورغم تأثر الجميع، إلا أنهم لم يسمحوا لنا إلا بساعة واحدة لنجلس سوياً داخل الصالة المصرية، ومن ثم عاد كل منا أدراجه إلى حيث يقيم».

رحلة سفر ومرارة

وفي قصة سوسن وجه آخر للألم، فقد اضطرت هي الأخرى للسفر لتلقي العلاج في الخارج، حيث تعاني من سرطان في الثدي أصابها، وتمكنت بعد عناء كبير من اجتياز الجانب الفلسطيني للمعبر، بسبب سوء الإدارة الذي طالما أضاع دورها في السفر، وعدم احترام النساء ولا حتى اللواتي يحملن أطفالهن، ولا تقدير لمريض، وخرجت وزوجها منتصرين من «معركة السفر» كما تصفها، ونجحا في الوصول إلى الصالة المصرية، وهناك كان الانتظار أطول واللحظات تمر ساعات، والدقائق أياماً.

وهنا تعلق بالقول: «لقد كانت أصعب رحلة لي في حياتي، كان أطول وقت انتظره، وكانت بحق تجربة صعبة، سمعت دوماً عن معاناة المسافرين على المعبر، خصوصاً بعد سيطرة حركة «حماس» على قطاع غزة، وإغلاقه من قبل الجانب المصري، إلا أن تشاؤمي لم يكن يساور المشهد الحقيقي».

وتصف شعورها بالقول: «تعمقت آلامي بسبب هذه الرحلة، التي كنت اطلب منها العلاج والراحة من داء أصابني، لأكتشف أن هناك مرارة تنافس المرض، بعد وصولنا إلى الجانب المصري، اضطررنا للانتظار أكثر من ست ساعات، كابدت ألم مرضي من جهة وعناء حملي لطفليّ التوأم، سمعت اسمي وشاهدت من بعيد أحد الموظفين وهو يصطحب جواز سفري، انفرجت أساريري وقلت أننا انتهينا من هذا، إلا أننا فوجئنا أن جواز سفر زوجي لم يخرج، لانتظر معه رغم جاهزية أوراقي، وبعد ساعتين كانت الصدمة الكبرى بعدم السماح لزوجي بالسفر، بحجة أنه ممنوع من دخول الأراضي المصرية.

لم أعد احتمل، انفجرت في بكاء، زاد من حرقه قلبي أكثر، وبين رجاء زوجي لي بالسفر دونه لتلقي العلاج، وبين رغبتي بأن يكون معي، وكيف أنني وضعت في وضع صعب للغاية، وكان علي الاختيار، فأكملت أنا السفر وعاد زوجي إلى غزة، مصطحباً معه الطفلين، لأني لن أتمكن من رعايتهما أثناء فترة العلاج. نعم سافرت وحدي ومنع زوجي من مرافقتي، سافرت وحدي بعد أن أنهكتني رحلة اجتياز مسافة لا تزيد عن الـ ٥٠٠ متر بين المعبرين الفلسطيني والمصري، سافرت وحدي في رحلة علاجي التي بحثت فيها عن الدواء، سافرت وحدي بعدما كابدت سوء المعاملة وانتظار الساعات الطوال وسط الحقائب المبعثرة، وتحت لهيب الشمس، في جو الصيف الحارق، سافرت وحدي وعاد طفلايّ اللذان لم يتجاوزا عامهما الأول.

الحاجة فاطمة، بقيت هي الأخرى أياماً تنتظر اللقاء، وأعياها طول الانتظار، تعيش وزوجها المريض في الأراضي المصرية، وبقية أبنائها في غزة، لم ترهم منذ أن منعت إسرائيل استصدار تصاريح العبور إلى قطاع غزة، كانت دوماً تسمع أصواتهم عبر الهاتف، وقريباً تمكنت من مشاهدتهم ولكن عبر شبكة الإنترنت.

تحديات مشاركة المرأة الفلسطينية في سوق العمل

خاص - صوت النساء

بالرغم من أن السلطة الفلسطينية أحرزت تقدماً ملحوظاً في مجال تعزيز مشاركة النساء في سوق العمل، خلال العقد والنصف الماضيين، إلا أن فجوة النوع الاجتماعي ما تزال واضحة على مستوى المشاركة في القوى العاملة ومعدلات الأجور والبطالة.

هذا ما أشارت إليه دراسة «تحديات مشاركة المرأة الفلسطينية في سوق العمل والتدخلات المطلوبة: دراسة كمية نوعية حول مشاركة المرأة في سوق العمل»، أصدرها مؤخراً مركز المرأة الفلسطينية للأبحاث والتوثيق، وأعدها كلاً من: د. لؤي شبانه وجواد صالح.

هدف وإحصاءات

هدفت هذه الدراسة لتسليط الضوء على المؤشرات الحالية لمشاركة النساء في سوق العمل الفلسطيني، وإبراز السمات الأساسية للقوى العاملة النسوية، من أجل رصد وتحليل واقع مشاركة المرأة في عملية الإنتاج وأدائها في سوق العمل والظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تحيط بعمل المرأة في الأراضي الفلسطينية، من خلال مراجعة الوضع الراهن لمشاركة المرأة الفلسطينية في سوق العمل، والتدخلات المطلوبة على مستوى السياسات، لتمكين المرأة من المشاركة في سوق العمل بشكل فاعل.

والدراسة تهدف على وجه الخصوص إلى رسم خريطة حول الواقع الراهن لمشاركة النساء في سوق العمل الفلسطيني، مع التركيز على دراسة ظاهرة تدني مشاركة النساء في القوى العاملة، ودراسة خصائص النساء خارج القوى العاملة والعوامل الطاردة للنساء من سوق العمل، وتقديم بعض المقترحات بشأن التدخلات السياساتية لتمكين المرأة، في ضوء نتائج البحث.

تؤكد الدراسة أن الإحصاءات المتوفرة تشير إلى تدني مشاركة النساء الفلسطينيات في سوق العمل، وارتفاع نسب البطالة بين النساء مقابل الرجال، وأن عمل المرأة يتركز في مجالات محددة أهمها الزراعة والخدمات. وأضافت الدراسة: «لا يزال انخراط النساء كبيراً في العمل غير المأجور، وهذا بطبيعة الحال (وفق الدراسة)، له آثاره المتعلقة بالتمكين الاقتصادي والاجتماعي.

عوامل وعراقيل

وأوضحت الدراسة أن تدني مشاركة المرأة في القوى العاملة، مرتبط بعدد من الأسباب، أهمها: الاقتصادية كمقدرة سوق العمل الفلسطيني على استيعاب العرض من القوى العاملة النسوية، وعوامل الطرد للمرأة خصوصاً تدني الأجور، وانخراط النساء في العمالة المهمشة، وأسباب اجتماعية مرتبطة بدخول المرأة إلى سوق العمل في سن متأخرة بالمقارنة مع الذكور، وأسباب ثقافية تتمثل في محدودية المهن والأنشطة الاقتصادية التي تتنافس المرأة عليها.

وأبرزت الدراسة أنه بينما تكون فئة النساء خارج القوى العاملة على الصعيد الدولي في فئة النساء الأكبر سناً والأقل تعلماً، نجد أن الوضع الفلسطيني يتركز بين النساء الأصغر سناً والأكثر تعليماً. كما لاحظت الدراسة انخفاض في القوى العاملة المشاركة بسبب وصول الكثير من النساء إلى تكلفة التسهيلات اللازمة لعمل المرأة مثل دور الحضانة والرعاية النهارية.

وتبين أن العديد من النساء المنخرطات في سوق العمل، يعملن في قطاع الزراعة على شكل عمالة غير مأجورة (أعضاء أسرة بدون أجر) وهذا الواقع (حسب الدراسة) لا يتيح المجال لاستخدام عائد العمل بصورة مباشرة من قبل المرأة، وما يرتبط بذلك من مقدرتها على الإنفاق على صحتها وتعليمها.

مهن وتأرجح

وتذكر الدراسة أن النساء الفلسطينيات، على ما يبدو، يقصدن عدداً محدوداً من الأنشطة الاقتصادية التقليدية، وهي التعليم والصناعة والزراعة والخدمات. كما يبدو (والكلام للدراسة) أن النساء يقصدن عدداً محدوداً من المهن، أهمها العمل كمعلمات أو ممرضات أو مزارعات أو حرفيات، وأن هناك نسبة من النساء المنخرطات في سوق العمل تعاني من البطالة وعدم المقدرة على الحصول على فرصة عمل. ويلحظ أيضاً، أن نسبة عالية جداً من المتعطلات عن العمل متعلمات، وبالتالي فإن هناك حاجة لتوفير فرص عمل للمتعلمات من النساء الفلسطينيات.

وتؤكد الدراسة أن وضع المرأة في سوق العمل هو وضع غير ثابت، وأن المرأة تواجه مقاومة لبقائها في السوق، حيث يبدو أن هناك عوامل طرد مستمرة تدفع بها إلى خارج سوق العمل، كما يظهر من مجمل الانتقالات على المدى القصير. والنساء خارج القوى العاملة فئة غير متجانسة، ويمكن تقسيمها في أربعة صفوف أو مجموعات منفصلة عن بعضها البعض، وهذا يؤكد الحاجة لاتباع سياسات مختلفة حسب كل فئة من الفئات فيما يتعلق ببرامج التمكين. وأخيراً هناك حاجة إلى دراسة أكثر عمقاً لفهم أسباب عدم مشاركة النساء في القوى العاملة.

كما أظهرت نتائج مجموعات العمل المركزة، أن أسباب تدني مشاركة النساء في سوق العمل تتركز في أربعة مجموعات رئيسية، مرتبطة بالبيئة الاقتصادية في الأراضي الفلسطينية، وقدرة استيعابها للأيدي العاملة، الأطر القانونية، ظروف العمل، والعوامل الاجتماعية والثقافية.

توصيات

إلى ذلك، فقد خرجت الدراسة بجملة توصيات، أهمها:

إجراء دراسة كيفية متخصصة في تحديات مشاركة النساء في سوق العمل، بحيث تشمل :مراجعة الأدبيات في هذا المجال. دراسة حالات مخصصة من خلال مقابلات شخصية متخصصة مع ذوي الاختصاص، لمعرفة رأيهم بعمل المرأة. إجراء مسح أسري متخصص في هذا المجال، لمعرفة رأي النساء والرجال في عمل المرأة.

إعطاء فرص عمل متساوية للذكور والإناث، وتكريس ذلك في عقلية المجتمع عبر إعلانات الوظائف، وضرورة إعادة النظر بطبيعة التخصصات التعليمية التي تنخرط بها النساء.

زيادة التدريب والتأهيل والعمل على تزويد المرأة بالمهارات والكفاءات اللازمة، لزيادة مشاركتها في سوق العمل في كافة القطاعات.

خلق مزايا للقطاع الخاص من قبل الحكومة تساهم في زيادة استيعاب المرأة في سوق العمل. على سبيل المثال: تخفيض الضرائب على القطاع الخاص، مقابل توسيع نسبة مشاركة النساء، مساهمة الحكومة في أجر النساء في مرحلة إجازة الأمومة.

النساء في البيوت المدمرة شمال القطاع

وعود كاذبة بإعادة إعمار لم تأت بعد وانقسام ينكأ الجراح

غزة- شيرين خليفة

«عيد آخر مر علينا، وما زلنا نحلم باللحظة التي نمتلك فيها بيتاً، فلا أطفالي يشعرون بالراحة في بيت مستأجر، ولا أنا بقادرة على نسيان بيتي الذي دمرته آليات الاحتلال أثناء الحرب».

بهذه الكلمات الحزينة استهلت المواطنة أم فادي عبد ربه، من منطقة عزبة عبد ربه شمال قطاع غزة حديثها لـ«صوت النساء»، وهي تتحدث بمرارة عن الواقع الذي ما زالت تعيشه النساء، اللواتي فقدن بيوتهن أثناء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة مطلع عام ٢٠٠٩م.

وتكمل: «هذا ليس بيتي، في كل لحظة أقضيها هنا أعيش عذاب ذكريات بيتي الذي أسسته مع زوجي، رعيناه كما نرعى أحد أبنائنا، كان بيتاً واسعاً يتوسط أرضنا، أما أنا فبعت من أجل بنائه بهذا الشكل الجميل قطعة أرض كنت قد ورثتها عن أهلي».

وعلى وقع الحاضر المرير تعيش أم فادي ٤٥عاماً وأبناؤها الثمانية حسرة الواقع الحالي، إذ يعانون إهمال الجهات المسؤولة، وتناسي الكثيرين لنتائج المأساة التي تعرضوا لها خلال الحرب.

تقول أم فادي: «ما ذنب أصحاب البيوت التي تعرضت للتدمير، أن يدفع الكثير منهم تكاليف الإصلاحات وإيجارات البيوت على نفقتهم الخاصة، في حين أن الكثير من الجهات التي زارتنا عقب الحرب وعدت بأن تتكفل بكل هذا».

وتدخل أبو فادي ليقول: «أنا موظف حكومة عادي، حين أدفع من راتبي مبلغاً يصل إلى ٢٠٠ دولار ثمناً لبيت مستأجر، ويذهب جزء آخر رسوم جامعات، ماذا بقي من الراتب؟ للأسف الكثير من الناس وعدونا ومعظمهم تخلوا عنا، أنا لا أدري أين ذهبوا بالبيانات التي جمعوها عن وضعنا، ولماذا جمعوها؟».

وتابع: «مال الدنيا لن ينسينا بيتنا الذي فقدناه، لكن على الأقل تحسين ظروف واقعنا الحالي يسهم في تخفيف جراحنا».

وهنا قالت أم فادي: «لا شيء يعزيني، ورغم أن بيتي مدمر، إلا أنني منذ بداية رمضان، أعد طعام هنا وأحمل الطعام لنفطر في أرضنا المجرفة وعلى أنقاض بيتنا، ورغم أنني حين أذهب هناك أتذكر اللحظة التي اضطررت فيها إلى الخروج من البيت تحت تهديد السلاح، بعد أن اقتحمه جنود الاحتلال وأطلقوا الرصاص بداخله بشكل عشوائي، وأتذكر كذلك حين فقدت الوعي لحظة عودتي لأراه كومة تراب، حين عدت بعد الحرب».

ورغم أن أم فادي فقدت بيتها وأرضها بشكل كامل، إلا أنها تعترف أن مصيبتها أخف من غيرها، ففي الحرب هناك أناس جاءت مصيبتهم مضاعفة، حيث فقدوا أرواح أبناءهم وأرضهم وبيوتهم.

وترى أم فادي ضرورة الوصول إلى المصالحة الفلسطينية، من أجل إفساح المجال أمام رفع الحصار وإعادة الإعمار. وتضيف: «لا افهم لماذا يستمر الانقسام بعد كل هذا الحال الذي نعانيه، ألا يشعرون بما نعانيه؟».

النكبة الشاملة

في شوارع عزبة عبد ربه شبه الممهدة، مازالت هناك آثار دمار لم تمحوه الأيام، بعد أكثر من عام ونصف من نكبة ٢٠٠٩، فالشوارع على حالها ما تزال مجرفة، والبيوت مسواة بالأرض، والأراضي الزراعية ما زالت جرداء.

تذكرت وأنا أتنقل بين هذه المشاهد المأساوية، برفقة هادي عبد ربه، كيف كانت هذه المنطقة الخصبة تنعم بالهدوء وتكتسي اللون الأخضر، كونها مناطق زراعية، في هذه المنطقة حيث سكانها جميعاً من المواطنين، اعتاد الناس العيش في بيوت واسعة تتوسط أراضيهم، باعتبار ذلك نمطاً خاصاً في حياتهم، لكن تغيير هذا النمط أصبح مفروضاً على الجميع في منطقة تعاني إهمال جميع المسؤولين.

في الطريق إلى عائلة عبيد، مررنا بعدد من البركسات يسكنها أناس فقدوا بيوتهم أثناء الحرب، أناس يمر عليهم الصيف والشتاء وهم يعيشون في بيوت من صفيح، لا تقي حر صيف ولا برد شتاء، وصلنا إلى بركس تسكنه عائلة عبيد لنلتقي أم عبد الله وأطفالها الأحد عشر، والتي بدأت في رواية مأساتها من التشرد وفقدان الرزق والأرواح.

تقول: «كان عمي، والد زوجي رحمه الله، يمتلك مزرعة مواشي هي الأكبر على مستوى قطاع غزة، وكل أبنائه يشتغلون معه، كان لدينا بيتاً كبيراً مكون من أربع طوابق مبني في أرضنا، وكل أسلافي كانت لديهم بيوت تتوسط أراضيهم المجاورة لأرضنا، أما عمي فكان يمتلك بيتاً له ولزوجتيه قرب مزرعة المواشي».

وتتابع: «حين حدثت الحرب رفضنا الخروج، إلى أن اضطررنا مرغمين تحت تهديد السلاح، فيما بقي عمي في بيته رافضاً المغادرة».

وتضيف: «قتلوا كل المواشي أمام عيون عمي، ومن ثم قصفوا بيوتنا، وبعدها قتلوا عمي وإحدى زوجتيه أثناء محاولته الخروج من المنطقة، بعد أن ذاق الحسرة على كل ماله، والآن بقينا دون شيء».

وبحسرة تقول ام عبد الله: «بعد أن كنا عائلة تعيش في عز، الآن ضاع رزقنا وأرضنا وبيوتنا، ونعيش في بركس من بقايا الصفيح، الذي كان سوراً لمزرعة المواشي التي كنا نمتلكها قبل أن ينقلب الحال».

وتضيف بسخط: «أكثر من مرة مر هنا مسؤولون دوليون معهم فلسطينيين، يأخذون الصور ويتصورون أمام بيوتنا ولا نرى منهم شيئاً، وقبل مدة حين زارنا مسؤول دولي، قلت له ما دمتم لا تقدمون لنا الحل لماذا تزورونا؟».

لكن سؤال أم عبد الله سيبقى معلقاً طالما بقي المجتمع الدولي متجاهلاً معاناة هؤلاء الناس، وطالما بقي الانقسام الفلسطيني جاثماً على الصدور.

وتضيف أم عبد الله: «أنا أحمل المسؤولية للمسؤولين الفلسطينيين أكثر من الدوليين، هم من يتجاهلون حالنا، لماذا لا يتصالحون لينتهي هذا الوضع».

إهمال

إذن فإن أهالي البيوت التي تعرضت للتدمير، يعانون نوعاً من الإهمال ونقص الخدمات والرعاية، وهو ما أكده سمير زقوت، منسق وحدة البحث الميداني في مركز الميزان لحقوق الإنسان، إذ أضاف: «هو واقع صعب غاية في السوء، ونحن نتحدث عن أحد أصناف التعذيب والمعاملة القاسية، التي يتعرض لها المدنيون، فتشريد الأسرة وحرمانها من مصدر دخلها، هو انتقاص من جملة حقوق الإنسان التي يفترض أن يتمتع بها البشر».

وتحدث زقوت عن انعكاس الواقع الجديد لهذه الأسر على حياة الأفراد، إذ أن فقدان الطفل لأقرانه ومدرسته وبيته، وفقدان المرأة لبيتها ومحيطها الاجتماعي، والانتقال للعيش في خيام أو بركسات، أو بيوت غير مناسبة، تزيد من معاناة هؤلاء الناس.

وانتقد زقوت تأخر إعادة الإعمار حتى الآن، وقال: «رغم كل الوعود الدولية والأرقام الخيالية التي تحدثوا عن رصدها، إلا أنه لم يتم حتى الآن إعادة إعمار البيوت المدمرة، كما أن فشل المجتمع الدولي في فك الحصار عن غزة، يزيد تعقيد الامور».

وأعرب عن امتعاضه من كيل المجتمع الدولي للمعايير الإنسانية بمكيالين، إذ قال: «لو أن هذه الجرائم ارتكبت في مكان آخر، لوجدنا التحرك أسرع، لكن حين يتعلق الأمر بالفلسطينيين، لا أحد يحرك ساكناً، وفعلاً هناك انحياز واضح لإسرائيل».

وأكد زقوت، أن الإنقسام الفلسطيني أحد أهم العوامل التي أسهمت في تأخر إعادة الإعمار، خاصة وأن المجتمع الدولي يصر على تسييس هذه القضية.

واستغرب تأخر المصالحة الفلسطينية حتى الآن، في ظل عدم وجود فروق ووجود برنامج يمكن أن يتفق عليه الجميع، ويشكل أساساً للوفاق، وهناك وثيقة الوفاق الوطني التي أجمع عليها الجميع.

وحمّل طرفي الخلاف في غزة ورام الله مسؤولية استمرار تدهور الوضع الإنساني للأسر التي فقدت منازلها، معتبراً أنه لا يجوز، ومن غير المبرر استمرار الصراع على سلطة تحت الاحتلال، والإدعاء بأن هناك خلافاً على البرنامج السياسي.

بدورها أعربت الأخصائية النفسية سمية حبيب، عن أسفها لاستمرار معاناة النساء في المناطق التي شهدت حرب ٢٠٠٩، وعدم توفير بيوت ملائمة لهن.

وأوضحت حبيب، التي تابعت ميدانياً أوضاع النساء في تلك المناطق عقب الحرب، أن غاية الإنسان في الدنيا تحقيق الأمن، وهؤلاء النساء افتقدن الأمن بفقدان منازلهن، خاصة وأنهن اضطررن للسكن في أماكن غير مغلقة بشكل آمن، وغير ساترة في كثير من الأحيان، كالخيام والبركسات.

وأضافت أن النساء التي دمرت بيوتهن، يعانين بشكل مضاعف من فقدان الخصوصية والحرمان، نتيجة لعدم توفر احتياجات البيت الرئيسية.

وقالت إنها لمست اضطراب الحالة النفسية لهن، إذ أصبحن يعانين من العصبية والكبت، نتيجة الضغوط المضاعفة التي تتزايد عليهن يومياً.

وقالت حبيب أن ضعف المتابعة من قبل المؤسسات، وغياب الأمل في حل قريب لمشاكلهن، يزيد من الضغط النفسي الواقع عليهن، وهو ما يستدعي ضرورة التدخل، لأن التأخير دائماً يزيد تعقيد المشكلات الاجتماعية.

وقد وثق مركز الميزان، تدمير قوات الاحتلال الإسرائيلي لـ١١١٤٦ منزلاً، كلياً أو جزئياً، أثناء عملية الرصاص المصبوب، ومن بينها ٢٦٥٢ منزلاً بشكل كلي (بحيث لا يمكن إصلاحها)، و٨٤٩٦ منزلاً بشكل جزئي (أي يمكن إصلاحها حسب تقييم مركز الميزان). وتشير أحدث إحصائيات الأمم المتحدة (التي قدمتها وكالة أنروا للميزان) بشأن تدمير منازل المدنيين أثناء عملية الرصاص المصبوب، إلى ما يلي: ٣٦٠٠ منزل هدمت بحيث لا يمكن إصلاحها، ٢٧٠٠ منزل تضررت بشكل كبير، و٥٢٠٠ تعرضت لأضرار طفيفة.

منتجات المستوطنات...مرحلة متقدمة من الوعي لمقاطعتها

طوباس- شهناز حميد

تمسك الطفلة سارة قدري، حبة الشوكلاته وتتفحصها جيداً قبل أن تقرر أكلها من عدمه، بعد أن تثبت لها سلسلة من الأرقام المكتوبة بالخط الأسود العريض، على أنها منتجة في المستوطنات.

وترى الطفلة قدري، ابنة الصف السادس الأساسي، بأن هذا المنتج يشكل خطراً عليها وعلى جيلها من الأطفال الفلسطينيين، لأن عائد هذه المنتجات يذهب «لليهود»، ليصنعوا به أسلحة تقتل الأطفال والكبار من الفلسطينيين.

وتنقل والدة سارة عنها وعن أشقائها الثلاثة الآخرين، بأن تفحص المشتريات من قبل أبناءها بات سلوكاً دائماً، تجاه أية سلعة يشترونها، مبينة أنهم كثيراً ما يضطرون إلى التخلي عما يشترونه، لأنهم يكتشفون بأنه منتج مستوطنات.

وتقول هذه الأم وتعمل موظفة في محافظة طوباس، بأنها حريصة على عدم انتقاء منتجات إسرائيلية بشكل عام، وإنها تفضل المنتج المحلي أو العربي على المنتج الإسرائيلي. وتؤكد على أن لبعض المنتجات المحلية، من الجودة التي تجعلها تفضلها على نظيرتها الإسرائيلية، مبينة أنها تلجا للمنتجات العربية أو التركية، اذا أرادت بديلاً عن المحلي الأقل جودة.

وترى أنه يجب على الجهات الرسمية والشعبية القائمة على حملات المقاطعة، تكثيف جهودها والوصول إلى ربات البيوت تحديداً، كونهن المسؤول الأول عن الاستهلاك اليومي للأسرة، للوصول إلى الهدف العام لهذه الحملات، وهو إخلاء أسواقنا ومحلاتنا وبيوتنا من هذه المنتجات القاتلة.

وترى أن المقاطعة، تعد نوعاً آخراً من المقاومة للاحتلال الإسرائيلي ومستوطناته، والتي كانت تعد الشعب الفلسطيني المستهلك الأول لمنتجاتها.

وأن يقف المواطن الفلسطيني قليلاً قبل أن يشتري اية سلعة ليتفحصها، إن كانت منتجاً إسرائيلياً أم لا، يعد أكبر إنجاز لحملات المقاطعة الشعبية والرسمية لمنتجات المستوطنات الإسرائيلية، والتي واجهت أكثر من حملة على المستويين الرسمي والشعبي لمقاطعتها والعزوف عن استهلاكها. وأثر هذه الحملات التي ركزت على المستهلك الفلسطيني، وحثه على استهلاك المنتج المحلي، أو حتى العربي أو الاجنبي كبديل لمنتجات المستوطنات، فإن الكثيرين من المستهلكين باتوا يفكرون ويتفحصون السلع، لمعرفة جهة انتاجها، ليقرروا فيما بعد استهلاكها من عدمه.

ويرى خالد منصور منسق الحملة الشعبية لمقاطعة البضائع الإسرائيلية، أن هذه الحملة التي انطلقت مطلع العام الماضي، (٢٠٠٩)، وتهدف إلى إخلاء السوق الفلسطيني من منتجات المستوطنات ومن المنتجات الإسرائيلية ذات البديل المحلي، أو العربي، وصلت إلى مرحلة متقدمة في تحقيق أهدافها، والتي ترنو إلى خلق ثقافة وطنية لدى المواطن لتغيير سلوكه تجاه البضائع والمنتجات الفلسطينية.

التأثير على وعي المواطن

ويقول منصور، الذي يسوق لحملته ومن معه عبر التجوال في شوارع وحارات وبيوت الضفة الغربية: «لقد وصلنا إلى مرحلة متقدمة في التأثير على وعي المواطنين، فالمستهلك عندما يتفحص السلعة لمعرفة جهة انتاجها، يعد ذلك إنجازاً لا باس به من عملنا المتواصل».

ويشير إلى أن التاثير الإيجابي للحملة، انعكس إيجابا على حصة المنتجين المحليين في السوق الفلسطيني، والتي ارتفعت بنسب جيدة لصالح سلعهم إثر هذه الحملات.

ويرى منصور أن للسلع والمنتجات الفلسطينية من الجودة والمنافسة السعرية، ما يجعلها بديلاً تاماً عن نظيرتها الإسرائيلية، فمنتجات الألبان والمياه مثلاً، توازي جودتها نظيرتها الإسرائيلية وتتفوق عليها أحياناً.

ويقول، أنه يتوجب على المنتجين الفلسطينيين، تطوير قدراتهم الإنتاجية والتنافسية، ليقدموا للمواطن منتجات منافسه لتلك الإسرائيلية، لنستطيع في النهاية إخلاء أسواقنا ومحلاتنا من المنتجات الإسرائيلية، ومن منتجات المستوطنات بالدرجة الأولى، والتي يتحول كل شيكل لقاءها إلى رصاصة تقتل أطفالنا وأبناءنا.

المشوار طويل

ورغم الإنجازات التي حققتها هذه الحملة، إلا أن منصور يرى، أن المشوار طويل أمام المقاطعة، والتي تمثل جزءاً أساسياً من المعركة الشعبية إزاء الاستيطان.

وفي الوقت الذي قال فيه منصور، أن المواطن وصل إلى مرحلة متقدمة من الوعي لتفحص السلع التي يشتريها، فإن ممثلي عدة مؤسسات حكومية، تعمل على قيادة حملات مقاطعة لمنتجات المستوطنات في محافظة طوباس والاغوار الشمالية، يقولون أنه من المبكر الحديث عن هذه المرحلة من الوعي لدى المواطن.

وتعكف وزارة الاقتصاد الوطني وجمعية حماية المستهلك، ووزارة الصحة والضابطة الجمركية والمحافظة والفصائل الوطنية، على قيادة عدة حملات للمقاطعة لبضائع المستوطنات في المحافظة.

ويقول ممثل إحدى المؤسسات الحكومية، أن المواطن لا زال يعاني إشكالية الفرق بين منتجات المستوطنات والبضائع الإسرائيلية، والتي لا نستطيع كمؤسسات حكومية الترويج لمقاطعتها، نظراً للإتفاقيات الموقعة ما بين الجانب الإسرائيلي والجانب الفلسطيني.

ويضيف أنه في الوقت الذي نؤكد فيه على المواطنين مقاطعة بضائع المستوطنات، فاننا نؤكد في الوقت ذاته على تشجيع المنتج المحلي، والذي توازي جودة بعض منتجاته، جودة أي منتجات أخرى. وقال إن المواطنين يخلطون ما بين منتجات المستوطنات والمنتجات الإسرائيلية، ويرون بأن الكتابة باللغة العبرية دليل يدفعهم للمقاطعة. وأشار إلى أن الحملات الرسمية، تستهدف المواطنين بالتوعية والتثقيف، عبر البروشرات والندوات والورش التوعوية، إلى جانب التجوال على المحال، لتاكيد ضرورة إخلاءها من منتجات المستوطنات.

وقال: «إن الأسواق في المحافظة، وصلت إلى مرحلة متقدمة من عملية الإخلاء من منتجات المستوطنات». مبيناً أن الحملة مستمرة، وفي طريقها إلى الوصول إلى الهدف المنشود، وهو إخلاء الأسواق تماماً من منتجات المستوطنات.

وأشار إلى أنه، ونظراً لطبيعة المستوطنات المجاورة، كونها مستوطنات زراعية بالدرجة الأولى، فإن المنتجات التي كانت موجودة في السوق هي منتجات زراعية لهذه المستوطنات. وكثيراً ما قامت هذه المؤسسات بعمليات ضبط وإتلاف لمنتجات المستوطنات، في مختلف أنحاء المحافظة.

حملة مقاطعة بضاعة المستوطنات خطوة على الطريق تقود إلى المقاطعة الجذرية

ميساء الأحمد

في محاولة من الشعب الفلسطيني بقاعدته الشعبية ومؤسساته الرسمية، بأن يجعل العمل تصديقاً للقول، انطلقت حملة مقاطعة بضاعة المستوطنات الإسرائيلية، عملاً يرافق رفض الاستيطان قولاً، حيث بدأت هذه الحملة من شهر نيسان لعام ٢٠١٠، لتكون خطوة مدروسة بعد مشوار من التخطيط والفحص والبحث القانوني، وتشكل خطوة ملزمة لجميع أبناء الشعب الفلسطيني وفق أربع أمور: إعرف واجبك، قاطع ولا تترد، إدعم الحملة، ومن ثم ساهم في النشر. لتشكل هذه الحملة نهضة واعية، وخطوة جيدة لمحاولات رفض الاحتلال بشتى الطرق، وأهمها الاقتصادية، ومحاولة لتعزيز الوعي الثوري والشعور الوطني لدى أبناء الشعب الفلسطيني، ومحاولة لزرع مفاهيم وقيم وطنية نبيلة، ترفض الاستيطان بجميع أشكاله، وجعل هذه الحملة والمقاطعة ثقافة وسلوك يومي، يمارسه جميع أفراد المجتمع الفلسطيني وفئاته.

انطلقت الحملة تحت رعاية مجموعة من المؤسسات الرسمية منها: اللجان الشعبية لمقاومة الجدار والاستيطان، جمعية إعمار للتنمية والتطوير الاقتصادي، بدعم وتأييد رسمي من السطلة والحكومة الفلسطينية، وقام بالمشاركة في هذه الحملة حوالي ٤ آلاف متطوع، سعوا من أجل تنظيف وإخلاء البيوت والمحلات التجارية من منتجات المستوطنات، تحت شعار «أنت وضميرك»، ووصلت الحملة إلى بيت الرئيس، حيث وقّع على «عهد الكرامة»، الذي يدعو إلى عدم استهلاك بضاعة المستوطنات، وقال خالد منصور منسق الحملات سابقاً: إنهم نفذوا ١٢ حملة دعوية في العام ٢٠٠٩ و٦٦ ندوة ثقافية في ٤٥ تجمعاً سكانياً في الضفة، موضحاً أن تأثيرها ظهر بإغلاق ١٧ مصنعاً إسرائيلياً داخل مستوطنات الضفة.

ولكون مثل هذه الحملات التوعوية مهمة وضرورية، كانت وجهة هذه الحملات تطال البيوت والمؤسسات والمحلات التجارية، الكبار والصغار، في شتى المدن والقرى والمخيمات، وذلك من أجل العمل معاً لمقاطعة هذه المنتجات، وبيان أهمية هذه المقاطعة على شتى الأصعدة والميادين؛ حيث ترى الطالبة سمية صالح وهي طالبة صحافة وإعلام في السنة الثانية، أن هذه الخطوة ضرورية، وذلك لأن شراءنا بضائع المستوطنات يمثل اعترافاً ضمنياً بهم وبدولتهم، ودعماً لإجراءاتهم العنيفة والعدائية ضد أبناء شعبنا، وتأكيداً على هذا الرأي، أوضح وزير الاقتصاد حسن أبو لبده، أن مقاطعة بضاعة المستوطنات يؤكد على عدم شرعية هذه المستوطنات ومنتجاتها في الأراضي المحتلة، بالتالي يجب أن لا يكون السوق الفلسطيني مجال تسويق بضاعة غير شرعية على الأرض، وهذا يتناسب مع رأي الطالب معتز عويس من مدينة القدس، الذي يرى أن المقاطعة وسيلة لإضعاف الاقتصاد الإسرائيلي، وتقوية لدعائم الاقتصاد الفلسطيني على الصعيد الآخر.

وعند إلقاء نظرة على ما حصل أثناء حملة التوعية، وتنظيف الأسواق من منتجات المستوطنات، وعندما شرعت الجهات الرقابية في السلطة الفلسطينة بتنفيذ قرار مكافحة منتجات المستوطنات، اتضح خطورة هذا الملف؛ حيث تبين لقطاعات واسعة من أبناء شعبنا، مدى كبر حجم هذه المبيعات وتعدد أصنافها وأنواعها، والتي تغزو أسواقنا الفلسطينية بلا حسيب ولا رقيب، حيث أنه يصل حجم مبيعات منتجات المستوطنات في أسواق الضفة الغربية، على الأقل سنوياً، إلى ٢٠٠ مليون دولار، علماً بأن الفلسطينين يساهمون بنسبة ٤٦٪ من الدخل السنوي للمستوطنات، وهنا تكمن الخطورة، حيث يعد تداول هذه المنتجات شكلاً من أشكال دعم المستوطنات وتثبيتها على أراضينا المحتلة، في حين أن المستوطنات تعد وفقاً لاتفاقية جنيف الرابعة غير شرعية، وكل ما ينتج عنها هو غير شرعي أيضاً. ومن ناحية أخرى نستطيع من خلالها الإحساس بمدى خطورة ذلك، أن بضاعة المستوطنات لا تخضع لأي رقابة صحية أو بيئية، بالتالي تشكل خطراً على صحة المستهلك وحياته. وبعد البحث والتقصي، اتضح أن المستوطنات لا تخضع لضرائب الدولة الصهيونية، بالتالي فإن أي عائد من شراء هذه البضاعة واستهلاكها في السوق الفلسطيني، يعود بالنفع لهذه المستوطنات، وعدم المنفعة للشعب الفلسطيني؛ لأن ذلك يساهم في تقوية اقتصاد وماديات هذه المستوطنات، التي تسارع في هذه الحالة إلى التوسع والتوغل في الأراضي المحتلة، والنتيجة ضياع الحق الفلسطيني، الذي ينادي بتفكيك المستوطنات وإزالتها.

وفي ضوء أهمية وخطورة هذه القضية، قامت المؤسسات المشرفة على هذه الحملة، بنشر كتيبات توضح طبيعة هذه المنتجات، وتعرف المواطن الفلسطيني بأهمية معرفة هوية السلع التي يستهلكها ويستخدمها، كجزء من الحملة التعبوية، التي تهدف إلى إرشاد وتوعية المواطن الفلسطيني، حيث عبر الطالب عوده أبو رحمة، طالب علوم سياسية، عن أهمية هذه الحملة، ودعا إلى اتخاذ اجراءات أكثر جدية مع المحلات التي تبيع هذه المنتجات، وتوسيع نطاق الحملة لتصل إلى جميع الفلسطينين، وكان للطالب محمد عبد الحليم طالب العلوم السياسية نفس الرأي والرؤيا. وتأكيداً على آراء هؤلاء الطلبة، والذين يعدون جزءاً من القاعدة الشعبية الفلسطينية، أصدرت السلطة الفلسطينية، قانون مكافحة منتجات المستوطنات، بتاريخ ٢٠١٠،٤،٢٦، والذي سن عقوبات مختلفة على كل من يتعامل مع منتجات المستوطنات، أو كل من يحاول أن يمنح مستندات أو تسهيلات تضفي الشرعية على هذه المنتجات.

ولكون هذه الحملة بمنافعها وما حققت حتى الآن، تصب لصالح الشعب الفلسطيني، بجميع فئاته، وخاصة الفئة التي تملك رأس المال والمصانع والمؤسسات الإنتاجية، أن تساهم في تحسين ورفع مستوى الإنتاج والمنتج الفلسطيني، والعمل على رفع مستوى الجودة وتحسين الأداء، وذلك من أجل توفير سلعة من انتاج فلسطيني، قادرة على تلبية حاجة المواطن، وتعويض العجز في السوق، كبديل لمنتجات المستوطنات التي قوطعت، حيث ترى الطالبة وعد خليل طالبة صحافة وإعلام، أن المنتج الفلسطيني يشكل البديل الكافي والمناسب، بدل منتج العدو، وترى أن المواد الغذائية المنتجة في نابلس والخليل، تشكل كفاءة ذاتية في السوق الفلسطيني، أما الطالب أنس سعيد وهو طالب هندسة، فقال إن المنتج الفلسطيني لا يشكل البديل المناسب، ويفتقر إلى القدرة التنافسية مع باقي المنتجات، وبالتالي عندما نجد في الشارع الفلسطيني تعارض واختلاف في وجهات النظر، علينا العمل من أجل توحيد الرؤيا وتجسيد القناعة بأهمية تحسين المنتج الفلسطيني، وخطورة تسويق المنتج الإسرائيلي، ومحاولة النهوض بالاقتصاد الفلسطيني، والعمل على إنعاش مختلف جوانبه الإنتاجية والصناعية، واستيعاب الأيدي العاملة، ومحاولة تشغيل هذه الكفاءات، وتخفيض نسبة البطالة في الشارع الفلسطيني، وكل ذلك من أجل ابتكار منتج فلسطيني قادر على المنافسة في الأسواق الداخلية والخارجية.

ضجيج هدم منازل المقدسيين يغلب أصوات تطبيق العدالة

القدس: ميسة أبو غزالة

بين ليلة وضحاها، أو بين لحظة ولحظة، تشرد عائلات مقدسية من منازلها، ويتحول ذاك المنزل القائم منذ سنوات إلى أثر بعد عين، وفي لحظات يبدأ أصحابه بالبحث عن شيء ما من مقتنياتهم، لعله يصلح للاستعمال. كل ذلك يحدث بعد عملية هدم منزل لمواطن مقدسي، اختار أن يعيش في هذه المدينة رغم كل الصعوبات، تحدياً لمخطط الاحتلال بترحيل العرب، وراغباً في الصمود على أرض أجداده، حيث تكون الحجة جاهزة، كالبناء دون ترخيص، أو إضافة مساحة على البناء القائم، أو حتى تغيير بنية منزل مسقوف بالزينكو إلى الباطون. وتدور أحداث هدم المنازل، في الوقت الذي تدور فيه جولات المفاوضات المباشرة، التي يأمل من خلالها الجانب الفلسطيني الحصول على حقوقه في مدينة القدس.

غرامات متلاحقة

وفي أحد أقرب الأحياء ملاصقة للمسجد الأقصى (سلوان)، قصة معاناة مع الغرامات المالية، فقد حكمت محكمة بلدية القدس على المواطنة إلهام أبو رموز من بلدة سلوان، بدفع غرامة مالية قيمتها ١٥ الف شيكل، بحجة البناء دون ترخيص، إضافة إلى التوقيع على تعهد بقيمة مماثلة لعدم البناء، وأمر اعتقال مع وقف التنفيذ بحقها. وأشارت المواطنة أبو رموز، التي تعيش مع زوجها وأطفالها الخمسة في المنزل، الذي تبلغ مساحته ١٢٠ متراً مربعاً منذ ٢٠ عاماً، أنها المرة الثانية التي تفرض فيها محكمة البلدية مخالفة بناء عليها، بعد أن فرضت عليها عام ٢٠٠١ غرامة مالية بقيمة ٧٢ ألف شيكل، سددت بالكامل، وهو يقع ضمن المنازل ال ٨٨ في حي البستان المهددة بالهدم من قبل البلدية، بهدف إقامة حديقة توراتية.

هدية عيد الفطر الإسرائيلية.

أما عائلة المواطنة المقدسية نبيلة نصري أبو رجب، فقد استقبلت أول أيام عيد الفطر السعيد، بقرار من المحكمة المركزية، يقضي بهدم منزلها القائم منذ ما يزيد عن ٦٠ عاماً في حي القرمي في القدس القديمة بيدها. وتقول السيدة أبو رجب، التي تعيش في منزل تآكل جدرانه الرطوبة: «اضطررنا لترميم سطح منافع المنزل (الحمام والمطبخ ٣٠ متراً مربعاً) قبل ٨ سنوات، حيث تمت إزالة الزينكو ووضع الإسمنت لأنه كان آيلاً للسقوط، ولم نقم بزيادة المساحة أو الإضافة». وأوضحت السيدة أبو رجب، أنهم دفعوا مخالفة بقيمة ٢٤ الف شيكل بالكامل، انتهوا من دفعها قبل أربع سنوات، كما أصدرت المحكمة بداية العام الجاري، مخالفة أخرى بقيمة ١٢ الف شيكل، سيتم الانتهاء من دفعها في نهاية العام.

وقد تم تخييرهم، بين أن يقوموا هم بعملية الهدم، أو أن تقوم البلدية بهدمه وتحمليهم تكاليف العمال وغرامة، حيث أكدت أبو رجب، أنهم سيقومون بهدم منزلهم، لتفادي دفع غرامة عالية، علماً أن زوجها يعمل لإعالة عائلته، المكونة من أربعة أشخاص، ولدفع الغرامات والمخالفات، رغم مرضه وكبر سنه.

وقالت إن السلطات الإسرائيلية، تحاول السيطرة على كل متر في حي القرمي، وهي تحاول بقرارات الهدم وتغريم ومخالفة الأهالي، إجبارهم على ترك منازلهم، مؤكدة على الصمود.

الشيخ جراح

وفي حي الشيخ جراح، معاناة من إنذارات بالإخلاء والطرد، بحجة ملكية المنازل من قبل جمعيات استيطانية، حيث استولت تلك الجمعيات على بيت عائلة أم كامل الكرد، وبيت عائلة الغاوي، وبيت عائلة حنون، إضافة إلى الاستيلاء على جزء من منزل رفقة الكرد. وإحدى هذه العائلات المهددة، هي عائلة الصباغ، التي تملك سبعة منازل في الحي، وأمهلتهم محكمة الصلح الإسرائيلية حتى ١٩-٥-٢٠١١، لإبراز مستنداتهم فيما يتعلق بادعاء الطرفين ملكية المنزل المذكور.

المواطنة ناهد الصباغ «أم هاني»، تعيش مع زوجها وأولادها الخمسة في منزل مساحته لا تتعدى ٢٨ متراً مربعاً، مؤلف من غرفتين فقط، إلا أن أطماع المستوطنين وأنظارهم اتجهت إليه. المواطنة الصباغ تنظر بقلق شديد إلى مصير عائلتها وبيتها، التي عاشت فيه حال تنفيذ القرار وقالت: «منذ استلمنا القرار ونحن نعيش في قلق، لا نأكل ولا ننام، وأولادي لا يدرسون، حتى أننا نخاف الخروج من المنزل، تحسباً من الاستيلاء عليه». ومنذ قدوم المستوطنين إلى حي الشيخ جراح، بدأت المشاكل مع السكان، حيث يمنع الأطفال العرب من اللعب في الساحة المخصصة للأطفال اليهود، علماً ان كلاهما يدفعون (الضرائب والأرنونا) للبلدية، كما يتم مضايقة الضيوف بشكل مستمر، ويتم ضرب أطفال الحي الصغار ورشهم بالمياه ورميهم بالحجارة وتوجيه الكلام البذيء لهم، عدى عن المضايقات التي تحدث خلال احتفال اليهود بأعيادهم. في تقريره لشهر آب ٢٠١٠، أكد مركز القدس للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، أن هناك تزايداً في قرارات إرغام المواطنين على هدم منازلهم، بدعوى عدم الترخيص، خاصة الهدم الذاتي، وتخيير المواطن بهدم منزله بيديه، أو أن تقوم البلدية بهدمه تحت طائلة الغرامة المالية العالية.

حيث أرغمت بلدية الاحتلال المواطنين عمر أحمد دبش وإيمان رجب دبش، على هدم منزليهما الكائنين في جبل زعقوبه من أراضي جبل المكبر، وتبلغ مساحة المنزل الأول ١٣٠ مترا مربعا، فيما تبلغ مساحة المنزل الثاني ١٢٠ مترا مربعا. وقال المواطن عمر دبش، أن البلدية فرضت عليه خلال السنوات العشر الماضية، غرامات بأكثر من ١٠٠ ألف شيكل، وبالرغم من ذلك لم يتمكن من الحصول على رخصة بناء.

من ناحية أخرى، سجل شهر آب تطوراً آخراً بحسب تقرير المركز، بعملية الهدم والتجريف التي قامت بها البلدية ضد مقبرة مأمن الله في القدس الغربية، حيث جرفت آلياتها أكثر من ١٦٠ قبراً، حيث تخطط السلطات الإسرائيلية لإقامة ما يسمى ب «مركز التسامح» على أنقاض تلك المقبرة الإسلامية التاريخية، التي تحوي رفات المئات من الشهداء والصحابة.

الحملة الشعبية لاسترداد جثامين الشهداء

تسليم جثمان العاروري «إنجاز أولي» ونسعى لتسليم ٣٢٠ جثمان

رام الله- عزيزة نوفل

كان الإنجاز الكبير الذي حققته اللجنة الشعبية لاسترداد جثامين الشهداء، باستعادة جثمان الشهيد مشهور العاروري، المحتجز لدى سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ ٣٤ سنة، حافزاً لهذه الحملة للسعي الجاد للضغط دولياً وعربياً وعالمياً لاستعادة جثامين كل الشهداء الفلسطينيين المحتجزين فيما يعرف بمقابر الأرقام. كما أن هذا الانجاز فتح الأمل لدى مئات العائلات، التي لا زالت تنتظر إغلاق قبور أبنائها المفتوحة منذ استشهادهم وحتى الآن، بسبب احتجاز جثامينهم.

أمل بإغلاق قبر مفتوح

تقول والدة الشهيد أحمد حمد من منطقة نابلس، أن العائلة جهزت قبر شهيدها منذ استشهاده في العام ٢٠٠٢، ولا يزال مفتوحاً حتى الآن، وأن كل محاولاتهم الحصول على جثته ودفنها حسب الطقوس والمراسم الإسلامية، باءت بالفشل، بسبب تعنت سلطات الاحتلال.

ولا تعرف عائلة الشهيد حمد، مكان جثمان شهيدها حتى الآن، ولا مكان دفنه، رغم ما يردها من كونه موجود في إحدى مقابر الأرقام، ومن خلال التوجه لهذه الحملة تأمل العائلة التعرف على مكان شهيدها والسعي لرفع قضية لاستلام جثمانه ودفنه. «مقابر الأرقام» تقع في مناطق عسكرية مغلقة، ويمنع زيارتها أو الاقتراب منها أو حتى تصويرها، وهي خاضعة لسيطرة جيش الاحتلال مباشرة، حيث تزدحم بمئات الأضرحة، وهي عبارة عن مدافن بسيطة، أحيطت بالحجارة بدون شواهد، ومثبت فوقها لوحات معدنية تحمل أرقاماً بعضها تلاشى بشكل كامل. في هذه المقابر، يحمل كل شهيد رقماً معيناً، ولهذا سُميت بمقابر الأرقام، لأنها تتخذ من الأرقام أسماء للشهداء، ولكل رقم ملف خاص تحتفظ به الجهة الأمنية المسؤولة، ويشمل المعلومات والبيانات الخاصة بكل شهيد. فيما وصل عدد المقابر التي كُشف عنها، وحسب المعلومات المتوفرة والمتداولة إلى أربعة مقابر. وكان مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان، قد أعلن في نيسان من العام الماضي، عن حملة شعبية لاسترداد جثامين الشهداء، معلناً أن عدد جثامين الشهداء الفلسطينيين والمفقودين، وصل إلى ٢٧٠ شخصاً، ومنهم من لم يُعرف له أثر منذ حرب عام ١٩٦٧.

إنجاز أولي

يقول منسق الحملة الشعبية لاسترداد جثامين الشهداء سالم خلة، أن هذا الرقم ارتفع بعد الطلبات التي تقدمت للحملة من قبل أهالي هؤلاء الشهداء والمفقودين، ليصل الآن إلى ٣٢٠ شهيداً. بحسب خلة، فإن الحملة حققت إنجازاً أولياً، من خلال التمكن من الضغط على حكومة الاحتلال، وتسليم الشهيد العاروري، ولا تزال الحملة تسعى من خلال كافة الوسائل المتاحة لديها قانونياً وشعبياً، للوصول الى هدفها بإغلاق هذا الملف، و تسليم كافة الشهداء المفقودين المحتجزة جثامينهم. ومن أهم هذه الوسائل، بحسب خلة، بناء شبكات ضغط على حكومة الاحتلال، من خلال مساعي لتدويل القضية من خلال اتصالات عقدناها مع أطراف عربية ودولية لتبنيها، إلى جانب تبني المجلس الوطني الفلسطيني والبرلمان الفلسطيني هذه القضية، لإيصالها إلى البرلمان الدولي، عبر اتصالاتهم وعلاقاتهم والفعاليات البرلمانية القارية والإقليمية.

هذه الجهود أدت إلى تبني الجامعة العربية لهذه القضية، وتكليف السفراء العرب في عواصم العالم المختلفة، بنشر هذه القضية والعمل جنباً إلى جنب.

يتابع خلة: «نسعى من خلال عقد عدد من المؤتمرات الدولية، إلى نشر هذه القضية، المؤتمر الأول سيكون في المغرب، والمؤتمر الثاني سيكون في فلسطين، وهو مؤتمر دولي عن الأسرى، وسيتم التركيز خلاله على الأسرى المحتجزة جثامينهم، والمؤتمر الثالث لا يزال طور الفكرة مع الجامعة العربية».

المحور الثاني هو المتابعة القانونية التي يجريها مركز القدس، وبالتحديد الدائرة القانونية، حيث تم إنجاز ثلاثة ملفات جديدة الآن، للتوجه إلى المحكمة العليا الإسرائيلية، وهي ملف الشهيد «أنيس محمود دولة»، استشهد في ٣١-٨-١٩٨٠ في سجن عسقلان، ولا تزال إدارة السجون تحتفظ بجثمانه حتى الآن.

الملفين الثاني والثالث، للشهيدين اللذين كانا برفقة الشهيد العاروري، أحمد زغارنة والشهيد حافظ أبو زنط، اللذان استشهدا قبل ٣٤ عاماً.

المحور الثالث الذي تعمل الحملة على إنجازه، هو السعي للضغط على الصليب الأحمر الدولي، الذي لا يزال يمارس دور ساعي البريد بين الحملة وسلطات الاحتلال، من أجل القيام بواجباته، بما في ذلك معرفة أماكن احتجاز جثامين الشهداء، وإذا ما كانت محتجزة وفقا للقانون الدولي، إلى ان يتحقق الإفراج عن جثامين الشهداء.

تفاعل كبير من الأهل

يشير خلة إلى أن هناك تعاوناً كبيراً من الأهالي، الذين تلقفوا خبر الحملة، وتعاونوا معها بشكل كبير، يقول: «أكاد اجزم لولا إرادة هؤلاء الأهالي ووحدتهم، لما خرجت هذه القضية من عالم النسيان والإهمال، الذي عانت منه خلال سنوات طويلة من الزمن، هناك بعض الحالات الموثقة حالاتهم لدينا منذ ١٩٦٨، مضى أربعة عقود على احتجازهم، ولكن قضيتهم كانت منسية، لأنه لا يوجد اهتمام لبناء جسم من هؤلاء الشهداء». و تابع خلة: «الأهالي شكلوا جسماً منظماً في كل محافظات الوطن، من رفح وحتى جنين، ويدير عمل هذه الأجسام على مستوى المحافظات، لجنة وطنية منتخبة، جميع أعضائها من ذوي الشهداء، ويساندها ممثلون لمؤسسات وطنية حقوقية وإعلامية وشخصيات، وجميع الفعاليات، والتي عرفت الرأي العام بفعل النشاط والمتابعة من ذوي الشهداء أنفسهم».

بسبب النقص والتلوث

أزمة المياه تكاد تشل الحياة اليومية للأسر الغزية

غزة – ماجدة البلبيسي

أزمة المياه تكاد تكون أزمة كل بيت فلسطيني على مستوى محافظات الوطن شماله وجنوبه، فإن توفرت المياه بشكل دائم، وهذا نادراً ما يتحقق، فهى غير صالحة للاستخدام الآدمي والشرب، نظراً لتلوثها بمعدلات عالية من النترات والكلورايد، وتعاني معظم البيوت والأسر من أزمة أخرى من أزمات العصر، وهي «أزمة المياه»، التي تكاد تعصف وتشل عجلة الحياة اليومية، التي أصبحت مرهونة تارة بالمياه، وتارة أخرى بالكهرباء، وهاتين الجهتين دوماً في حالة تنافر.

الحاجة (أم مهدي) من سكان مدينة خانيونس حي الشيخ ناصر، تعاني من أزمة مياه واضحة، نظرا لعدم وجودها بشكل دائم من ناحية، وتلوثها وعدم صلاحيتها للاستخدام من ناحية أخرى، عدا عن أن منطقة الشيخ ناصر، ما زالت خارج نطاق شبكات الصرف الصحي، التي كان من المفترض أن تجهز قبل أربعة سنوات، ولكن ظروف الحصار حالت دون إتمام ذلك، وما زالت تلك المنطقة تتخلص من المياه العادمة، عن طريق الحفر الامتصاصية، التي تحدث في بعض الأحيان، وفي حالة التأخر عن تصريفها مكاره صحية وبيئية.

تأجيل وانتظار

تقول أم مهدي: «في كثير من الأحيان نضطر أن نؤجل معظم عمل البيت من غسيل وشطف وتنظيف، في انتظار مجيء المياه، والتي عادة ما تأتي يوماً بعد يوم، ونضطر أن نتكيف مع مجيئها، حتى نستطيع انجاز شغل البيت، موضحة أن أكثر من (١٥) فرداً يعيشون في البيت، وبالتالي فإن أزمة المياه تحدث شللاً كاملاً في حالة انقطاعها على مجمل أعمال البيت، ونضطر إلى تأجيلها وينقلب نظام حياتنا ويومنا ليصبح الليل لإنجاز عمل البيت، بدلاً من الراحة والسكون، والنهار نقضيه في انتظار وصول المياه، وهكذا حياتنا مع أزمة المياه». المواطنة محاسن تقول أن مشكلة المياه مشكلة ليست في ندرتها، بل أيضاً في عدم جودتها، فهى لا تصلح لأي نشاط، حتى في حالة قيامي بالوضوء للصلاة، أشعر أن هناك كمية من الكلس انسابت إلى داخل جوفي وأسناني، فما بالك في استخدامها للاستحمام، والتي تؤثر بالتأكيد على نضارة الشعر والوجه، آملة أن تنتهي أزمة المياه في حالة الوفاق السياسي، وتنفيذ المشاريع التي وعدنا بها من قبل المسؤلين».

المواطنة نعمة من سكان النصر بداية المخيم الشمالي المحاذي لمعسكر الشاطئ قالت: «المياه أصبحت لا تصلح لأي شي، نظراً لملوحتها الزائدة من ناحية، وتلوثها بمياه المجاري من ناحية أخرى، موضحة أنها حينما تقوم بالوضوء، تستخدم المياه العادية في غسل جميع الأعضاء باستثناء الفم، تقوم باستخدام المياه المفلترة، نظرا لنسبة الملوحة العالية التي لا تطاق، وتؤثر على صحة الفم والأسنان».

وتضيف نعمة، أن الناس أصبحت تشترى المياه المفلترة وتستخدمها في جميع النشاطات اليومية، نظراً لعدم صلاحية المياه العادية، وهذا أصبح مكلفاً جداً للأسر التي تعاني من أوضاع اقتصادية صعبة، لافتة أن منطقة مخيم الشاطىء وساكنيها يشكون من قلة المياه، ومن عدم جودتها لأي استخدام، حيث تشاهدهم ينقلون المياه من الآبار ومن المساجد، حتى يتمكنوا من القيام بالنشاطات اليومية وانجاز أعمالهم.أم محمد صيام التي تقطن في منطقة التوام، والتي تتبع في مياهها لبلدية بيت لاهيا، قالت أن المياه التي تستخدمها عذبة وصالحة للشرب، حينما أخذت منها عينات قبل خمس سنوات وأجريت عليها التحاليل في مجموعة الهيدرولوجيين، وكانت حينها مطابقة للمواصفات العالمية، ولكنها لا تدرى الآن، هل ما زالت المياه بهذه الجودة أم لا. وتضيف أم محمد أنه خلال فترة الحرب، انتقلت من بيتها نتيجة الاجتياح، وسكنت مؤقتاً في منطقة المقوسي في حي النصر، وتأثرت كثيراً صحتها من عدم جودة المياه، وأصيبت بنوع من الحساسية نتيجة لملوحة المياه وتلوثها في تلك المنطقة، عدا عن تأثر شعرها بهذه المياه، ولكنها حينما عادت إلى بيتها ذهبت كل هذه الأعراض المرضية الجلدية، التي كانت تعاني منها.

مدير عام مصلحة بلديات الساحل، المهندس منذر شبلاق، في مقابلة خاصة «لصوت النساء» قال: «أزمة المياه ليست وليدة زمن قريب، وهي ليست بسبب الحصار والانسحاب فحسب، بل هى أزمة سياق تاريخي لمشكلة موجودة في الشرق الأوسط، ونحن في القطاع نعاني منها بشكل خاص، نتيجة للكثافة السكانية من ناحية، وعدم وجود مصادر مياه طبيعية مثل الأنهار والبحيرات، حيث يعتبر الخزان الجوفي هو المصدر الوحيد للمياه، الذي يعتمد عليه سكان القطاع، بعد جفاف الأودية نتيجة للممارسات الإسرائيلية، ومنع وصول مياه الأمطار الموسمية». ويوضح شبلاق أن هناك أزمة حقيقية في موضوع المياه، خاصة بعد تناقص كميات الطاقة المتجددة من مياه الأمطار، والتي تقدر من ٦٠-٨٠ مليون متر مكعب، وهى في حالة تناقص خلال العقود السابقة، نتيجة الاحتباس الحراري، التغير المناخي وارتفاع درجة الحرارة، التي أدت إلى انخفاض في كمية الأمطار .

تفاقم الأزمة

ويحذر الخبير في موضوع المياه المهندس شبلاق من استمرار تفاقم أزمة المياه، في ظل الزيادة السكانية، والتي ستتضاعف حتى العام ٢٠٢٥، حيث من المتوقع أن يصل عدد سكان القطاع إلى ٢،٥ مليون نسمة، في ظل تناقص كميات المياه وكمية الأمطار وزيادة الطلب، سيما وأن كمية الأمطار التي تسحب من الخزان الجوفي، تصل إلى(١٨٠)مليون متر مكعب سنوياً، يبلغ نصيب الاستهلاك المنزلي (١٠٠) مليون متر مكعب، ووجود عجز سنوي يتراوح ما بين (٨٠-١٠٠) مليون متر مكعب.

ويعزي الخبير شبلاق مشكلة ملوحة المياه، إلى ظاهرة زحف مياه البحر، التي تواجه معظم سكان القطاع، عدا عن زيادة مادة الكلورايد عن الحد المسموح به عالمياً، وفق تقديرات منظمة الصحة العالمية، وهو(٢٥٠) ملجرام، مشيراً أن معدل نسبة الكلورايد تتراوح نسبتها في مياه الشرب من (١٠٠٠-١٢٠٠) ملجرام، عدا عن وجود عنصر آخر من العناصر التي تؤثر على نوعية المياه، وهى مادة النترات، والتي يجب ألا تزيد نسبتها عن(٥٠) ملجرام في اللتر الواحد، وإن تجاوزت هذا الحد، تصبح المياه غير صالحة للشرب. ونبه الخبير شبلاق، بأن النترات أكثر خطورة من مادة الكلورايد على الصحة العامة، موضحا أن المنطقة الشمالية تزداد بها نسبة التخلف العقلي، والإصابة بالطفيليات المعوية والوفيات الفجائية، والإصابة بالسرطانات، وهذه الأمراض مرتبطة بارتفاع نسبة النترات في المياه في تلك المناطق، لافتاً أن مادة النترات غير معلومة ولا تؤثر على طعم وشكل المياه، وبالتالي فإن المواطن يجهل عادة بضرر هذه المادة.

النترات أكثر ضرراً

وتابع أن مصدر الزيادة المتوقع من مادة النترات، والتي تكون أكثر ضرراً على صحة الإنسان، موجودة في مياه الصرف الصحي أو المبيدات الحشرية، موضحاً أنه خلال الخمس سنوات الماضية، تناقصت الرقعة الزراعية، خاصة الحدودية، وهذا ساهم في زيادة معدل تلوث المياه بالنترات، عدا عن مشكلة الصرف الصحي، والمتمثلة في عدم وجود محطات معالجة ذات كفاءة عالية، وقادرة على أن تقوم بعملية المعالجة بطريقة سليمة ولائقة، بحيث لا تؤثر على الخزان، أو عدم وجود شبكات صرف صحي في العديد من المناطق، ومنها قرى خانيوس الشرقية، محافظة رفح والمحافظة الوسطى، والذين يعتمدون على الحفر الامتصاصية في التخلص من المياه العادمة.

وكشف شبلاق، عن أن نسبة المياه الصالحة للشرب في قطاع غزة لا تتجاوز ١٠٪، وأن مناطق شمال القطاع أفضل حالاً من المناطق الأخرى، نظراً لتساقط الأمطار بشكل أكبر، مؤكداً أن الوضع يسير من السئ إلى الأسوأ، وسيصل إلى أقصى درجة من السوء مع حلول عام ٢٠١٥، بسبب الزيادة السكانية وثبات كميات المياه المستهلكة. وحول الحلول المقترحة لمنع التدهور الحاد في المياه قال شبلاق، أن مصلحة بلديات الساحل، تمكنت من الوصول لعدد من السكان الأكثر حاجة للمياه، من خلال وضع المخطط الوطني وعمل دراسة وطنية لقطاع المياه لعام (٢٠٢٥)، وتمت مراجعة المخطط، ليمتد إلى عام (٢٠٣٥)، موضحاً، في سياق الحلول ينبغي البدء في تنفيذ مشروعين، الخط القطري الناقل عبر مواسير تنقل المياه من الشمال إلى الجنوب، ومحطة تحلية مركزية يمكن من خلالها أن يتم الاستغناء عن مياه الخزان الجوفي لمدة عشر سنوات على الأقل، ويتم تجميع مياه الأمطار والاستفادة منها، بهدف وقف استنزاف الخزان الجوفي، والإبقاء على أمل الأجيال القادمة، في التمتع بحقوقهم المائية.

وكشف شبلاق أن هذه المشاريع السالفة الذكر، يرتبط الوفاء بتمويليها على تغير الواقع السياسي والامنى، ووجود استقرار، وإلا ستبقى مجمدة، وستحل الكارثة لا محالة، وأن ما نقوم به حالياً هو مجرد مسكنات لتأجيل وقوع الكارثة المائية، والتي من المقرر لا سمح الله، أن تحدث بحلول عام ٢٠١٥، إذا لم يتم تنفيذ المشاريع السالفة الذكر.

النساء الأكثر تأثراً

وحول تأثر النساء بمشكلة نقص وتلوث المياه، أكد الخبير شبلاق، بأن النساء هن الفئة المتأثرة والمؤثرة في قضية تلوثها، خاصة وأن عبء الاستهلاك المنزلي، يقع على عاتق المرأة من حيث مسؤولية الترشيد، وكونها القدوة والمثل في هذه العملية، ومن ناحية تأثرها وتضررها بنقص المياه، حيث تتأثر من هذه المشكلة، وتتوقف عجلة حياة الأسرة تبعاً لذلك، وتبقى المرأة تعاني جراء النقص الحاد في المياه، من حيث مسؤوليتها عن توفير المياه.

ويؤكد المهندس شبلاق، أنه يقع على عاتق المرأة مسؤولية الترشيد وحل الأزمة، باعتبارها كمعلم وقدوة لأبنائها، موضحاً أن المياه تصبح نقمة في حالة تلوثها، ونادرة في حالة اختفائها. وشدد شبلاق على دور النساء الأكبر في الحفاظ على المياه، وغرس السلوكيات الإيجابية، وتغيير ثقافة الهدر والاستخفاف بالمياه، لافتاً أن المصلحة استهدفت في حملات التوعية النساء أولاً والأسر، وانتشرت حملات التوعية إلى المدارس والأطفال، ووصلت رسائلنا لجميع الشرائح، من خلال استخدام الفن والمسرح في تشجيع الممارسات الإيجابية. وحول استشراف المستقبل، أكد الخبير شبلاق، أن واقع المياه يتجه إلى خطر، والى كارثة إنسانية، إذا لم يتم الاستثمار وخلق بدائل، وإنشاء محطات تحلية، أو تحلية المياه الجوفية.

في الخليل...

أزمة في المياه ومعاناة للنساء

هيثم الشريف

شح ونقص المياه، عبارة يرددها الفلسطينيون كل صيف، لتعبر عن معاناتهم جراء شح وتقطع وصول المياه إليهم، ورغم إعتيادهم جبراً على شح المياه الموسمي، وتكيّفهم مع ذلك بصورة أو أخرى، إلا أن سكان محافظة الخليل الذين جاوز عددهم ٧٠٠ ألف نسمة، استبدلوا عبارة شح المياه بندرة المياه، وذلك بعد أن تفاقمت وتضاعفت معاناتهم هذا العام بالذات، حيث عانت المحافظة ولا تزال، من أزمة مياه خانقة لم تشهد لها مثيل، مما فاقم المشكلة، خاصة أن ذلك ترافق مع ارتفاع غيرمسبوق في درجات الحرارة، التي سجلت أرقاماً قياسية، لم تسجلها منذ عقود. كل ذلك ألقى بظلاله على كافة مناحي الحياة، الزراعية والصناعية ومياه الشرب، الأمر الذي إنعكس سلباً على الأسرة، من حيث النظافة والصحة معاً.

تفاقم مشكلة المياه التي وصلت إليها محافظة الخليل، دفعت بالكثيرات من ربات الأسر، إلى اللجوء للتقنين في إستخدام المياه، بل وإعادة إستخدام جزء منها، في محاولة منهن للتكيّف مع الكمية المحدودة التي تصل إليهن من ماء، فأم عبد الله مشارقة من مدينة دورا إلى الجنوب الغربي لمحافظة الخليل، قللت عدد مرات استحمام أطفالها من أربعة مرات إلى مرتين أسبوعياً، حيث قالت: «أطفالي يستحمون الآن مرتين أسبوعياً، بعد أن كانوا يستحمون أربع مرات أسبوعياً في الوضع الطبيعي، حيث أحاول أن أتكيف مع ما وصلنا من مياه قبل أسبوعين، بعد انقطاع للمياه دام ثلاثة أشهر متواصلة».

كما أبدت ربة المنزل أم عبد الله مشارقة، خوفها على صحة ونظافة أطفالها نتيجة لذلك. وحول الوسائل التي استخدمتها لتقنين استخدام المياه، قالت: «حالياً أقتصد بماء الجلي، حيث أنني أستخدم «إبريق» للجلي بدلاً من الحنفية، ولكي أقتصد أكثر، فإنني أستخدم مياه الجلي المستخدمة لري أشتال الزينة والورود، بعد أن أكون قد حفظتها في وعاء، ولغسل وشطف وتنظيف داخل البيت والساحة الخارجية، فقد بت أستخدم الدلو عوضاً عن بربيج المياه».

تأتي المياه كل شهرين

وكذلك فعلت أم إياد عيدة من مدينة الخليل، والتي قالت أنها باتت تستخدم الإبريق بدلاً من الحنفية، وعبرت هي أيضاً عن مخاوفها من استمرار هذا الوضع حيث قالت: «المياه تأتينا كل شهرين، واستمرار الحال على ما هو عليه، مشكلة كبيرة لربات البيوت، لأننا مقبلون على عيد الفطر، وكل ربة منزل، ترغب بأن تنفض بيتها، وتعيد تشكيله إستعداداً للأعياد، وكل أمور التنظيف المنزلية تعتمد على الماء غير المتوفر».

أم أحمد العلامي، ربة بيت لأسرة مكونة من عشرة أطفال في بلدة بيت أمر، الواقعة إلى الشمال من محافظة الخليل، وقد وصفت الأزمة المائية بالفظيعة، وأضافت: «إننا لا نستطيع العيش بدون الماء، الذي بات يصل «بالقطاره» وقد إعتدت كل عيد على إخراج كل ما في البيت من أثاث وسجاد، وغسله وتنظيفه، إلا أنني لا أعرف كيف سأعمل حيال الظرف الجديد».

ربة المنزل أم أحمد العلامي، رأت أن المشقة على المرأة زادت، حيث أنها تمنع بناتها من»الجلي» في المطبخ، لتحافظ ما أمكن على الكمية المتاحة من المياه ولتوفير إستهلاكها، كذلك فإنها تستعيض عن شطف أرضية وشبابيك المنزل بمسحه».

قلة مياه... قلة للنظافة

وقد رأت أن قلة المياه بالنسبة للأطفال، تعني قلة النظافة، وبالتالي قلة الحصانة ضد الجراثيم والامراض، حيث تأثر طفلا العلامي جرّاء ذلك، حيث أصيبا بالقحة والزكام والرشح بصورة مستمرة في الفترة الأخيرة، نظراً لأن عدد مرات الاستحمام وصلت إلى مرة أو مرتين أسبوعياً، بعد أن كانت بشكل يومي وفق ما قالت».

كذلك فإن أم ادهم العملة من قرية بيت أولا الواقعة إلى الشمال الغربي من المحافظة، لجأت إلى ما لجأت إليه الأخريات من ربات البيوت، في محاولة منهن لترشيد إستخدام المياه، كما عمدت إلى إيقاف الغسالة الأوتوماتيك نهائياً، واستعاضت عنها، بغسالة عادية»حوضين»، كما أصبحت تغسل مرة واحدة في الأسبوع، بعد أن كانت تغسل الملابس مرتين إلى ثلاث مرات أسبوعياً، إضافة إلى أنها تضطر لمسح الأرض والشبابيك لتنظيفها، بدلاً من غسلها، نظراً لعدم توفر المياه، وانقطاعها لمدة جاوزت الثلاثة شهور، الأمر الذي شكل معاناة كبيرة، وتحد كبير خاصة لربات البيوت».

بدوره فإن رئيس بلدية بيت أولا سليمان العدم، رأى أن النساء هن الأكثر تتضرراً جراء نقص المياه، لأنه لا يوجد مياه لتنظيف وشطف الحمامات والبيوت، التي ما عادت تنظف وفق ما قال.

قرية بيت أولا التي تشمل قرابة ٢٠٠٠ أسرة، وعدد سكانها ١٣ ألف نسمة، قال العدم أنها أشد القرى تضرراً في المحافظة، لأنها تأتي في آخر الخط الناقل من جبعة، صوريف، خاراس، نوبا، وبالتالي فإنها تفقد حصتها المخصصة لها لأنها لا تأخذ قبل أن تأخذ القرى التي قبلها، حيث على الرغم من أن حصة القرية المخصصة من دائرة مياه الضفة الغربية تبلغ ٢٩ ألف كوب، إلا أنه لا يصل القرية سوى ١٣ ألف كوب».

وقد ختم رئيس بلدية بيت أولا سليمان العدم حديثه قائلا: «حتى مياه الشرب ضعيفة جداً، وصهاريج المياه أصبحت تكلفتها عالية، حيث وصل متر المياه إلى ٤٠ شيقل بدل ٥ شيقل».

في حين أكد مدير عام دائرة مياه الضفة الغربية خليل غبّيش، أن ما يصل لكل مواطن في محافظة الخليل هو٨٠ لتر يومياً، أي أكثر بـ ٣٠ لتر مما يصل محافظات أخرى، غير أن العوامل الرئيسية التي أدت إلى تفاقم أزمة المياه في محافظة الخليل بالذات، تكمن في عدة أسباب منها «سوء إدارة عملية توزيع المياه من قبل البلديات والمجالس القروية، حيث أن تلك البلديات والمجالس القروية نادراً ما تضخ كمياتها المخصصة من المياه إلى خزانات مركزية، وإنما توزعها مباشرة، كذلك تقليص الإحتلال الكميات المخصصة للمحافظات عموماً، وحظر بناء آبار مركزية، خاصة في الحوض الغربي للمحافظة من قبل إسرائيل».

إضافة إلى الفوضى والتجاوزات والسرقات والتعديات، كما جاء على لسان مدير عام دائرة مياه الضفة الغربية، والذي قال: «يصل الخليل قرابة ٦٠ ألف متر مكعب، منهم (٢٥ ألف متر مكعب من الآبار الجوفية لسلطة المياه، وحوالي ٣٠ ألف متر مكعب مشتراة من إسرائيل و٣-٤ آلاف متر مكعب من آبار بلدية الخليل)، غير أن نصف المياه المشتراة من إسرائيل تذهب للزراعة، إذ ليس لدينا أي مصدر ماء مخصص للزراعة، بحيث أن كل المزروعات هي من مياه الشرب، أما نصفها الآخر فيسرق، وكل ذلك يساهم في حدة الأزمة».

حيث أن أكثر المناطق التي تشهد سرقة للمياه في المحافظة، هي حلحول وبيت أمر والبقعة وجزء من ترقوميا وإذنا وبيت أولا، ومعظمها مناطق تتركز في الشمال والغرب.

عن أطفال عاطوف وأحلامهم الخطرة

يرسمون «حنفيات» ويتمنون الخلاص من «نشل» المياه والصهاريج!

جنين -عبد الباسط خلف:

كيف يمكن أن تكون أحلام الأطفال في قرية شفا غورية صغيرة: لونها، وطعمها، ورائحتها؟

هل ستكون بالسفر عبر الطائرة؟ أم بالسير على شاطىء بحر ساحر؟ أو أنها ستتمثل في امتلاك حساب بنكي ضخم وقصر؟

كل شيء مختلف في عاطوف، القرية الصغيرة في غور الأردن، والقريبة من بلدة طمون، والتي تُطوّق معسكرات سمرة وتياسير الأجزاء الشمالية من عاطوف، وتسرق مستعمرات البقيعة والحديدة الجزء الغربي، ومن الجنوب الأردن.

هي بقعة دائرية قاحلة محاطة بسلسلة جبلية جرداء، فيما الأجزاء المحتلة منزوع منها الماء لصالح مستعمرة.

خيال مائي

أطلب من أطفال التجمع الشفا غوري، خلال نشاط بيئي، التعبير عن أحلامهم بالرسم والكلام، والتعبير الإنشائي والخيال الإبداعي. يُحول الصغار، وعددهم ٧٤طفلاً، آمالهم إلى لوحات فنية غلبت عليها الألوان الزرقاء والخضراء والبيضاء، فيما تكتب أقلامهم خواطر تنقل معاناة تجمع تسكنه بضع عشرات من العائلات، تعيش من وراء تربية الماشية والزراعات غير المروية. لم يرسم هؤلاء لا طائرة، ولا شاطىء بحر، ولا قمر صحراء، ولا قصراً.

كل أحلامهم تطرقت إلى سرقة الاحتلال لسر حياتهم. عبروا كيف أن قريتهم المقامة في سهل البقيعة انتقلت إلى أرض جرداء، فيما تظهر المستعمرات الإسرائيلية منطقة خضراء.

يصف نوح بشارات عاطوف بالصحراء، فيما قال بهاء بني عودة إن قريته بلا صهاريج مياه ستكون منطقة أجمل، وتمنى إيهاب بني عودة أن تتحول عاطوف إلى مدينة من ماء. وجاءت أحلام نجية بني عودة متواضعة، وتمثلت في أن تصل شبكة المياه ذات يوم إلى منزلها، لتتوقف عن «نشل» سحب المياه من البئر، ولتصحو وتجد «حنفية» المياه تضحك في وجهها.

ذات الجديلة تذكرت كيف أنها سقطت ذات يوم في البئر، وهي تفتش عن المياه، ولولا القدر وقلة المياه فيه لماتت، ليس من العطش وإنما من البحث عن ماء.

عطش

يقول نصر طارق بني عودة: «عاطوف يحرمها الاحتلال من مياهها، فيتركها في العطش، فيما يزرع الحدائق في مستعمرة «بقعوت». من حقنا أن لا نسمع أصوات الصهاريج، وأن ننعم بحقنا الطبيعي، فنحن لا نطلب لا البحر ولا المحيط ولا سابع المستحيلات، وإنما ان نعيش من غير عطش وجفاف».

ما أكثر ما يحفظه الصغار؟

إنهم يحفظون عن ظهر قلب أسماء أصحاب الصهاريج، التي تزود بيوتهم بالمياه، فعمر يوسف والشيخ محمد وصقر بشارات يطلبون دائماً للخدمة. أنهم يسجلون أرقام هواتفهم النقالة، لأوقات العطش. يقول مصطفى بني عودة: «إذا خرب التنك (الصهريج) في الصيف، بتصير حياتنا جحيم».

الحلم الموحد للأطفال والزهرات: امتلاك شبكة مياه وصنابير للمياه، ومشاهدة متنزه طبيعي أخضر بين بيوتهم!

من يستمع إلى الأطفال إسلام بني عودة، إسراء بشارات، عكرمة عبد الحميد، محمد سلامين، نعيمة بشارات، طوقان لطفي وغيرهم، سيكتشف تعطش الصغار للمياه النظيفة، والخلاص من العطش، وسحب المياه من الآبار المنزلية.

تقول إحداهن: «الغنم بتلاقيش ميه تشرب، والورد مش موجود عنا إلا في الشتا، بس تطلع لحالها».

هاجس

يقول مدير المدرسة المختلطة والوحيدة في القرية، إبراهيم قصراوي: تفكير الأطفال الدائم ينحصر في المياه، التي تظهر آثار انقطاعها عليهم في الصيف، فيجبرون على الحضور إلى المدرسة دون استحمام، وبملابس غير نظيفة كما يجب.

يضيف: «حلم الأطفال الدائم بالمياه، هو الذي مكنهم من الفوز بجائزة مسابقة تربوية، تناولت قضية النظافة الشخصية».

هنا أحلام الأطفال خطرة؛ لأنها تنحصر في حق بديهي ينهبه الاحتلال، ويفترض أن يكون متاحاً في كل وقت، فهو ليس بالترف، ولا بالخيال العلمي.

كيف الحال؟ : المية مقطوعة

أرحل من عاطوف، وأعود إليها ثانية في يوم صيفي مشتعل في آب الماضي، لشأن ما. أسأل ثلاثة من الصغار، كيف الحال؟

تأتيني إجابة أحمد وعلي ونجية متقاربة: «شوب كثير كثير، والمية مقطوعة، والتنكات (الصهاريج) مش ملحقة». (وهذا كله بالطبع قبل الجواب التقليدي: الحمد لله، عايشين)!

بجوار عاطوف تتمدد خربة الرأس الأحمر، التي تتشكل من بيوت شعر، ويقطنها زهاء ٢٠٠ مواطناً ومواطنة. فيما تضم الحديدية قرابة ٢٥٠ نسمة. أما خربة مكحول ففيها قرابة ٢٠٠ إنساناً. ويعيش زهاء ١٥٠ مواطناً، وفق تقديرات السكان، في خربة حمصة. أما سمرة فيقيم فيها ١٢٠ مواطناً. وكل هؤلاء يبحثون عن المياه قبل أي شيء آخر، ويصمدون على الظمأ، لكن للصبر وللصمود في الجفاف تاريخ صلاحية.

بعد مرور ٧١ عاماً على تعديل قانون الجنسية

تونس تقوم بخطوة فاعلة تحقيقا للمساواة

ترحّب حملة «جنسيتي حق لي ولأسرتي» بالخطوة التي تتخذها تونس، لتنزيه قانون الجنسية لديها بصورة كاملة، بعد أن كان هذا البلد العربي سباقاً في تعديل قانون الجنسية لديه، وفي تكريس المساواة الكاملة بين النساء والرجال، في أوائل التسعينات من القرن الماضي. والجدير بالذكر أن كل من المغرب والجزائر ومصر، كانت قد أقدمت على خطوات مماثلة، عدّلت فيها قانون الجنسية ساري المفعول لديها حتى اليوم، وذلك في٢٠٠٤و ٢٠٠٥و ٢٠٠٧ على التوالي.

منذ عام ١٩٩٣ وقانون الجنسية في تونس يعطي النساء التونسيات المتزوجات من أجانب، الحق بمنح الجنسية لأولادهن، لكن بشرط ولادتهم على الأراضي التونسية، وبشرط تصريح مشترك من كلا الوالدين يخوّلهم الحصول على الجنسية قبل بلوغهم سن التاسعة عشرة. وها هو عام ٢٠١٠ يشهد تنزيهاً كاملاً للقانون المذكور، حيث طرح إدخال تعديلات على أحكام قانون الجنسية في جلسة مجلس الوزراء التونسي، التي عقدت في ٨ من أيلول برئاسة الرئيس زين العابدين بن علي، بحيث بات ينص على منح الجنسية التونسية «لكل طفل مولود لأب تونسي أو لأم تونسية، بغض النظر عن مكان ولادته سواء أكانت في تونس أو خارجها، وإقرار الجنسية التونسية لمن ولد من أم تونسية وأب مجهول، أو لا جنسية له أو مجهول الجنسية، ولمن ولد في تونس من أم تونسية وأب أجنبي». وتجدر الإشارة إلى أن مشروع القانون الآن، يُنتظر إحالته إلى مجلس النواب في الأيام القليلة المقبلة. كما شهد قانون الجنسية في تونس تطوراً آخراً عام ٢٠٠٢، تمثّل بقرار «الإكتفاء بتصريح الأم وحدها لحيازة ابنها الجنسية في حال وفاة الوالد أو فقدانه أو انعدام أهليته». وحيث أن لبنان لا يزال يتردد في الإقدام على أي خطوة مماثلة، متذرعاً بحجج واهية، ليس من شأنها سوى تأجيج المشاعر الطائفية، تأمل «حملة جنسيتي حق لي ولأسرتي»، أن تشكل هذه الخطوة العربية الجديدة حافزاً للحكومة اللبنانية، وسائر حكومات البلدان العربية الأخرى، لتكريس الالتزام بحقوق النساء بمواطنة فاعلة، والسعي إلى تعديل قانون الجنسية التمييزي، التزاماً وانسجاماً مع إتفاقية إلغاء جميع أشكال التمييز ضد النساء.

الحملة الدولية لإصلاح هيكلية الأمم المتحدة الخاصة بالنساء

ميشيل باشيليه رئيسة الوحدة الخاصة بالنساء

حملة «إصلاح هيكلية الأمم المتحدة الخاصة بالنساء» ترحب باختيار السيدة ميشيل باشيليه، رئيسة الجمهورية السابقة لتشيلي، كوكيلة الأمين العام للأمم المتحدة لترأس الوحدة الخاصة بالنساء.

(١٤ أيلول/سبتمبر ٢٠١٠)

تبدي حملة «إصلاح هيكلية الأمم المتحدة الخاصة بالنساء» سعادتها الغامرة باختيار أمين عام الأمم المتحدة بان كي–مون، السيدة ميشيل باشيليه كوكيلة للأمين العام للأمم المتحدة لترأس الوحدة الخاصة بالنساء. وترى الحملة أن قرار التعيين هذا يعد أساسياً لضمان فعالية الوحدة الجديدة، اذ وقع اختيار الامين العام على قائدة قوية وذات كفاءة عالية لتبؤ هذا المنصب الرفيع في الأمم المتحدة الامر الذي سيمكنها من العمل نحو مستقبل أفضل للنساء حول العالم والدفاع عن حقوقهن وتكريسها.

وفي هذا السياق اشارت شارلوت بانش، من مركز القيادة الدولية للنساء في جامعة روتجرز والعضوة المؤسسة لحملة «الإصلاح الهيكلي» الى «إن اختيار السيدة ميشيل باشيليه هو خيار صائب والافضل، ولطالما كان حلماً لانها كانت على رأس لائحة مرشحات الحملة. لقد أبدت السيدة باشيليه، بما لديها من قدرات قيادية فاعلة ونزاهة كبيرة، التزاماً قوياً إزاء قضية تمكين النساء وأظهرت قدرة في التأثير على السياسات العامة من أجل ضمان المساواة بين النساء والرجال في مجالات متعددة، مضيفة ان السيدة باشليله تتمتع أيضاً بمكانة رفيعة تخوّلها حشد الموارد المادية لإنجاح هذه الوحدة الجديدة».

لقد اعدت الحملة لائحة معايير وأسئلة لتوجيهها لوكيلة الأمين العام للأمم المتحدة الجديدة وهي تتطلع قدماً لبدء التواصل معها بخصوص رؤيتها حول هذه المؤسسة الجديدة. وعليه، تطلب الحملة باجراء حوار مفتوح بينها وبين منظمات المجتمع المدني حول أبرز الأولويات التي يجب أن تلحظها للبنية الجديدة وكيف يمكن لهذه الاخيرة أن تصبح صوتاً قوياً لحقوق النساء والفتيات الشابات على المستويات العالمية، الإقليمية والمحلية. مع بدء تكون الوحدة الجديدة شيئاً فشيئاً، تطلب جمعيات المجتمع المدني أن يُصار إلى التشاور معها، وان تستمع من السيدة باشيليه الى كيفية سعيها لايجاد مساحة حقيقية وذات مغزى معهم لا سيما المنظمات النسائية بدءاً من الهيئات القاعدية وصولاً إلى المجموعات الدولية. تقول باني دوغال من المجموعة البهائية الدولية، «نأمل أن تشكل خبرة السيدة باشيليه القيادية في المحافل الدولية، وتفانيها بقضايا النساء والفتيات، والتزامها العمل مع منظمات المجتمع المدني والحركات النسائية الدافع القوي لعمل هذه المؤسسة الجديدة التي تمثل اختراقا في مجال حقوق النساء ولجذب الدول الأعضاء وتحفيز جهودهم لتحقيق المساواة الكاملة بين النساء والرجال».

تجدر الإشارة إلى أن هذا القرار المفصلي يأتي في مرحلة حرجة من مسار الاصلاح الداخلي للامم المتحدة التي باتت تواجه شحاً في الموارد. من هنا يمكن ان تقدم المؤسسة الجديدة الخاصة بالنساء رؤية وأمل جديدين لكيفية ردم الهوة بين الحكومات ومنظمات المجتمع المدني. وستكون الحملة الدولية لإصلاح هيكلية الأمم المتحدة الخاصة بالنساء جاهزة لتقديم كل أشكال الدعم المطلوبة لهذه القيادة الجديدة ولتسليط الضوء على التطورات خلال المرحلة الانتقالية وما بعدها.

نساء وأخبار

الوقوف في وجه جرائم قتل النساء واجب وطني

فلسطين: عممت النائبة حنين زعبي بياناً على وسائل الإعلام، استنكرت فيه بشدة جريمة قتل المرحومة هالة بكرية عاصلة، التي قتلت في بيتها في قرية عرابة البطوف بدم بارد، وهي حامل في شهورها المتقدمة.

وقدمت النائبة زعبي بالغ تعازيها لأولاد الفقيدة وعائلتها وأصدقائها وأحبائها، ودعت للمرحومة بالرحمة ولأهلها بالصبر والسلوان. وقالت النائبة زعبي في بيانها: «إننا إذ نطالب الشرطة والقضاء بملاحقة المجرم والتحقيق بالقضية على أكمل وجه، نؤكد أننا نرى أن من الواجب الأساسي لهذه المؤسسات حماية النساء المتعرضات للعنف، خاصة في أجواء تنتشر فيها الأسلحة في المدن والقرى العربية، ودون جهد كاف لمنع هذا الانتشار. كما ونطالب هذه المؤسسات بحماية كل من تتوجه إليها في أعقاب تعرضها لعنف أسري موجه ضدها، أو على خلفية تهديد أي كان، إضافة إلى أخذ دورها في ملاحقة المجرمين. ونطالب القضاء بعدم إبداء أي تهاونٍ مع مرتكبي جرائم قتل النساء».

وأضافت النائبة زعبي: «من العار أن تكون محاربة هذه الجرائم اجتماعياً حكراً على النساء، خاصة وأن مقتل المغدورة هالة لم يكن إلا حلقة في سلسلة طويلة، لا تشير إلا إلى بؤس حالتنا المجتمعية، وإلى إهمالنا كمجتمع بحق أنفسنا. وكذلك إلى سياق سياسي تتقاعس به الشرطة ومؤسسات الدولة عن القيام بواجبها، في حماية أمن سكانها».

وأكدت النائبة زعبي، على أن الجريمة لا تتوقف عند فعل قتل المرأة، بل تشمل أيضاً منظومة القيم المتسامحة مع تلك الجرائم، وتلك التي تبررها، ومنظومة القيم التي تدين المرأة أو التي تبرر كل السلوكيات المهينة ضدها، سواء الشفوية منها أو الفعلية. وعليه، فإننا نرى أن الوقوف في وجه جرائم قتل النساء، ومحاربة ظواهر العنف على كافة أشكاله ضد النساء وضد المستضعفين، هو واجب وطني على كافة قيادات المجتمع الاجتماعية والسياسية والدينية، وعلى مهنييه أيضاً من مربين وعمال اجتماعيين وأخصائيين نفسيين.

إضافة ٣ مواد لقانون التحرش الجنسى

مصر: وافقت وزارة العدل على الاقتراح بمشروع القانون المقدم من النائب د. جورجيت قلينى، بإضافة ٣ مواد إلى قانون العقوبات، لتتصدى لظاهرة التحرش الجنسى. وأعلن المستشار أحمد شريف، عضو لجنة التشريع بوزارة العدل، أمام اجتماع لجنة الاقتراحات والشكاوى في مجلس الشعب، برئاسة المستشار محمد جويلى رئيس اللجنة، أن الاقتراح المقدم من النائبة مطابق للدستور، مشيراً إلى أن جريمة التحرش المطلوب إضافتها لقانون العقوبات، تختلف عن جريمة هتك العرض. وتتضمن التعديلات توقيع عقوبة الحبس لمدة سنة، وغرامة لا تتجاوز ٢٠٠ جنيه، أو بإحدى هاتين العقوبتين، على كل من تحرش بغيره من الجنس الآخر دون إرادته، سواء وقع التحرش باللمس أو الملاحظة اللفظية، أو عبر التليفونات الثابتة أو المحمولة، أو الاتصالات الإلكترونية «الإنترنت»، وتسرى العقوبة على المتهم فى حالة ثبوت تلفظه بعبارات أو تلميحات، أو ارتكابه ما يمثل صوراً خادشة للحياء.

كما يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنتين، وغرامة لا تقل عن خمسة آلاف جنيه، كل من تحرش بطفل، أو وقع التحرش ممن له سلطة على المتحرش به، أو وقع من الأصول أو من الفروع، وتزيد العقوبة إلى الحبس لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات، إذا وقع التحرش من أكثر من شخص، أو إذا كان المجنى عليه معاقاً ذهنياً أو بدنياً أو مريضاً نفسياً.

وقرر المستشار محمد جويلى بعد موافقة اللجنة على مشروع القانون، بإحالته إلى لجنة الشؤون الدستورية والتشريعية، لمناقشته، وإعداد تقرير عنه يعرض على المجلس فى جلساته القادمة.

خطوة إيجابية للمرأة على طريق حقوق المواطنة

ليبيا: قالت هيومن رايتس ووتش، إن قانون المواطنة الليبي الجديد، الذي يمنح النساء المتزوجات من أزواج أجانب، الحق في حصول أطفالهن على الجنسية، هو خطوة هامة للأمام على مسار حقوق المرأة. وقالت هيومن رايتس ووتش إن القانون ما زال يضم بعض الأحكام المتعارضة، التي يمكن تفسيرها بشكل يُبقي على التمييز.

اللجنة الشعبية العامة، الجناح التنفيذي للحكومة الليبية، الذي يصدر القوانين، أعلنت في تموز الماضي عن قانون رقم ٢٤ لسنة ٢٠١٠، بشأن أحكام الجنسية الليبية، والذي تم إقراره في ٢٨ كانون الثاني. المادة ١١ من القانون الجديد، تقضي بمنح الجنسية الليبية لأبناء السيدات الليبيات والآباء الأجانب، لكنها تترك تفسير هذا الحُكم القانوني للوائح تنفيذية لم تصدرها اللجنة بعد. إلا أن المادة ٣ من القانون يبدو أنها تتعارض مع المادة ١١، وتبقي على التمييز ضد المرأة. المادة ٣ تُعرف المواطن الليبي بصفته الشخص المولود لأب ليبي أو لأم ليبية وأب بلا جنسية، أو مجهول الجنسية. ولا يوجد أي ذكر في المادة الثالثة لأبناء الليبيات المتزوجات من رجل له جنسية أخرى غير الجنسية الليبية. وقالت نادية خليفة، باحثة قسم حقوق المرأة المعنية بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في هيومن رايتس ووتش: «قانون الجنسية الجديد سييسر على بعض النساء الليبيات المتزوجات من رجال من جنسيات أخرى، حصول أبنائهن على جنسيتهن الليبية. لكن حصول النساء على المساواة الكاملة، هو أمر ما زال رهن درجة عدالة تطبيق القانون الجديد». وقالت هيومن رايتس ووتش إن على المسؤولين ضمان أن اللوائح التي سوف تصدر تنفيذاً للتغييرات في حقوق الجنسية، سوف تُظهر بشكل واضح أنه لا فارق بين النساء والرجال في حقوق منح أبنائهم الجنسية.

وصدقت ليبيا على العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية في عام ١٩٧٠، دون تحفظات على الجنسية أو النوع الاجتماعي. هيئة خبراء الأمم المتحدة التي تراقب درجة التزام الدول بتنفيذ العهد ذكرت، أنه من أجل الوفاء بالالتزامات التعاقدية للعهد، على الحكومات ضمان المساواة بين الرجل والمرأة في القدرة على منح الجنسية لأبنائهم.

كما صدقت ليبيا على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، لكنها تقدمت بتحفظات رسمية لإعفاء نفسها من الالتزام ببعض الأحكام الواردة في الاتفاقية. وسجلت تحفظاتها على المادة ٢، بشأن مكافحة التمييز في جميع أشكاله، والمادة ١٦، بشأن المساواة في الأسرة.

ليبيا هي الدولة الوحيدة في شمال أفريقيا المصدقة على بروتوكول الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، المعني بحقوق المرأة في أفريقيا، والذي يؤكد على المساواة في حقوق الرجال والنساء في نقل جنسيتهم إلى أبنائهم.

وهناك بلدان عديدة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تستمر قوانينها في التمييز ضد المرأة. وتشمل لبنان وسوريا والأردن والكويت والبحرين والإمارات والسعودية.

مهنة التطريز

نساء مكافحات بالإبرة والخيط

غزة-أحلام حماد

ستجدها دائماً متمترسة خلف الإنجاز، هي ذاتها التي تجيد استحداث الحل من قلب المشكلة، المرأة الفلسطينية التي طالما كانت على موعد مع التغيير، تصارع هذه المرة للبقاء، وتمسك بزمام المبادرة من جديد.

دفعت الظروف الاقتصادية والاجتماعية المرأة الفلسطينية إلى سوق العمل في مساهمة منها لإعالة أسرتها، وارتفعت أعداد المعيلات، وارتفعت أعداد الأسر المعتمدة كلياً على المرأة في إعالتها، إلا أنهن في ذات الوقت سجلن نماذج نجاح في إمكانية تحملهن المسؤولية، رغم العبء الكبير على كاهلهن، من خلال ممارسة أعمال بسيطة ونسوية بامتياز، مثل التطريز والخياطة، التي تميزت بها المرأة الفلسطينية منذ القدم.

من الهواية إلى الإحتراف

بعد سن الأربعين وجدت نفسها لا زالت قادرة على العطاء، تتحمل مسؤولية أسرة كاملة، تقف بمواجهه ظروفها بكل قوة وإصرار، تركت مقعد المتفرج لتكون في مكان الفاعل، اختارت لنفسها طريقاً ورسمت بالخيط والإبرة أسلوباً جديداً لحياة أسرتها، بسبعة أبناء وزوج كبير في السن، أمست أم محمد المعيل الوحيد للأسرة تقريباً. تروي أم محمد إحدى حكايات الكفاح الحقيقية فتقول: «تعلمت من والدتي فنون التطريز على القماش، وكنت أشاركها تطريز أثوابها المتعددة للمناسبات، وتعلمت منها أنواع الأثواب، وخصوصية كل مدينة أو قرية وما تلبسه المرأة فيها، وأن هناك ألواناً معينة لمناسبات محددة، وأن هناك تفصيلات مختلفة لمدن الساحل، عن تلك التي تستخدمها النساء من سكان الجبل، وبقيت هذه الحرفة كهواية، لا أمارسها إلا في أوقات الفراغ، إلى أن أحوجتني الظروف وعائلتي لما هو أصعب، فنحن لا نملك بيتاً ونسكن بالإيجار الشهري في غرفتين صغيرتين، وأولادي الكبار فقدوا أعمالهم بسبب الظروف التي يعيشها سكان القطاع، حيث زادت البطالة، وزوجي كبير في السن، ويعاني من إصابة قديمة ولا يستطيع العمل، ولأن الحصار أنهكنا، لم يكن أمامي إلا استحضار ما لدي من قدرات، وبدأت أفكر في استخدام مهارتي في التطريز والخياطة، كان همي الوحيد كيف يمكن استغلال هذا العمل البسيط كمصدر للعيش، دون أن اضطر لترك منزلي، جمعت ما تمكنت منه، واشتريت قطعاً من القماش وبعض الخيوط الحريرية اللازمة، وبدأت العمل.

تتابع أم محمد حديثها قائلة: «بعت أول الأثواب المطرزة لجارتي، وهي من عرفتني على مزيد من الزبائن، ودارت عجلة العمل إلى أن أصبحت أنجز مطرزات من كافة الأشكال، من الأثواب إلى المحافظ وحقيبة اليد، إلى حافظة الجوال والميداليات، وكنت أتطور وأواكب أي طلب جديد لزبائني، للوصول إلى ما يرضون عنه».

توصل الليل بالنهار، وتستمر رحلة إبرتها داخل القماش ناقلة الخيوط لرسم لوحة تعكس ما تعانيه أم محمد، ليظهر جمال ما تصنع يديها، وتضيف: «بالرغم من الإرهاق الذي بدأت أشعر به بسب العمل لساعات طويلة، وما يتطلبه عملي من تركيز وانتباه شديدين، إلا أنني أشبع بالعمل رغبتي وهوايتي وأساعد أسرتي على العيش بكرامة في ظل هذه الظروف الصعبة، أعمل وأنا راضية عن نفسي، بل فخورة بما أفعل، فأنا لا زلت أستطيع العمل والتميز، من خلال الشهرة التي اكتسبتها بسبب جودة ما أنجزه».

فخر واعتزاز

تنتظر أم محمد قريباً ولادة أول أحفادها، وتقول: «سيكون أحفادي فخورين بجدتهم لما تصنعه، برغم بساطة المهنة، وسأكون دائما عند حسن ظنهم، كما كنت في نظر آبائهم، فأنا اليوم أحاول تطوير نفسي وتعلم مهارات جديدة، وأفكر في شراء ماكينة التطريز الكهربائية لاختصار الوقت، وإنجاز أكبر قدر من المنتجات، فمصاريف العائلة تتضاعف يوماً بعد الآخر».

أم محمد تشترك في هموم حرفتها مع الأخريات، حيث ارتفاع أسعار خيوط الحرير ولوازم للتطريز غير المتوفرة في كل الأحوال، وجلبها عبر أنفاق التهريب مع مصر، يعني إغفال الاهتمام بالخامات الجيدة، وحول هذا تقول: «أواجه بعض الصعوبات في الحصول على خامات جيدة لأعمالي، ويطلب مني في بعض الأحيان منتجات فاخرة، كهدايا لأناس يقيمون في الخارج، فأعاني من شراء خيوط جيدة لذلك، وأرسل أبنائي للبحث في السوق عن مواصفات معينة، أحاول الحفاظ بها على مستوى منتجاتي، وصولا لإرضاء الزبائن.

رحلة كفاح

في وسط غزة متجر لبيع المطرزات، ملك للسيدة أحلام لبد، تسعد بعملها ويكفيها أن تلبس مما تصنع، بدأت العمل بعد وفاة زوجها، كانت ظروفها صعبة، إلى أن اختارت العودة مجدداً إلى قلب المجتمع عبر العمل، استغلت موهبتها في الخياطة وتعلمت فن التطريز في إحدى الجمعيات النسوية.

منذ أكثر من عشرين عاماً، تقضي أحلام الوقت بين أثوابها ومطرزاتها، محاولة الوصول إلى إرضاء زبائنها، دفعتها الحاجة إلى المحاولة، وكان النجاح بانتظارها لتشكل نموذجاً آخراً لنجاح المرأة في مجال العمل الحر.

تقول أحلام: «توفي زوجي الذي كان يعمل سائقاً اثر حادث سير، وعندي ثلاثة من الأطفال يحتاجون لتربية ورعاية، لم أرغب بالزواج بعده، وكان علي تحمل مسؤولية البيت كاملة، والقيام بدور الأم والأب معاً، كان العمل هو بوابتي لإعالة أسرتي خيراً من انتظار المساعدات وسؤال الناس، كانت لدي خبرة وموهبة في الخياطة، وخضعت لدورة لتعليم التطريز في إحدى الجمعيات، أحببت المهنة وبرعت فيها، واتخذتها عملاً لي. خلال سنوات تاريخها المهني، برعت أحلام في أعمال التطريز التقليدية المستخدمة بكثرة في الأثواب التراثية الفلسطينية، إلا أنها سعت إلى تطوير ذاتها، بمزج بسيط بين أفكار أدخلتها بعناية على الأثواب، وبين استخدامات جديدة لذات الألوان على الجلباب المستخدم بكثرة لدى النساء في غزة، وينصب اهتمامها على اختيار الأقمشة الجيدة والمناسبة لمواسم معينه، وتحاول التميز في نقلات التطريز والدمج بين الألوان.

حول رحلتها تقول أحلام: «بدأت بداية بسيطة، وكنت أدخر مما أبيع لأطور من عملي، واستعنت بعدد من صديقاتي، وكنت أوزع الأعمال بينهن في تطريز أجزاء من الأثواب، وخياطة أجزاء أخرى، إلى أن تمكنت قبل سنتين من افتتاح معرضي الخاص، والذي أعرض فيه جميع أعمالي، التي تنوعت من الأثواب إلى حقائب اليد، وحتى التطريز على الأحذية».

حلم السفر

وتضيف أحلام مبتسمة: «بضاعتي تسافر، في حين لا استطيع أنا السفر، فهناك الكثير مما أنجزته كان على شكل هدايا لمقيمين في الخارج، وكانت الأدوات المنزلية المطرز عليها، أو حتى الوسائد والبراويز والساعات، كلها أنجزها ويشتريها زبائن بعضهم من الأجانب المتواجدين في غزة، حيث إقبالهم أكبر من الإقبال المحلي، ربما لاعتبارهم أن ما أقوم به هو جديد عليهم ويحبون اقتناءه، كل هذا بسبب الحصار الذي يضيق على الناس، ويقلص من قدرتهم الشرائية، لأن سعر الأثواب المطرزة يدوياً مرتفع نسبياً عن الأثواب المطرزة بالماكينة، ولهذا يكون الإقبال أقل».

وكان لعمل أحلام من اسمها نصيب، حيث تحولت بعض هذه الأحلام إلى نجاحات تلمسها وتأمل بزيادة رصيدها، فقد تمكنت أحلام من تحمل أعباء أسرتها وتربية أطفالها، إلى أن اجتاز ثلاثتهم المرحلة الثانوية، ويدرسون الآن في الجامعة، ويعتزون بتلك المرأة التي وقفت خلفهم، إلى أن وصلوا إلى هذه المرحلة، ويحلمون لإمهم بإقامة معرض لها خارج غزة، لعرض كل منتجاتها، ليتمكن عدد أكبر من الاطلاع على ما يمكن أن تنجزه امرأة فلسطينية تحدت كل الظروف، وامتلكت دائماً ما تعبر عنه بالقماش والخيوط الملونة.

امرأة السعادة والتحدي

أم علي تغلبت على العجز وواصلت العمل

نابلس- ناردين ابو نبعة

السيارات تتسابق على الطريق، والكل ذاهب إلى أعماله، بينما تجلس أم علي على كرسيها المتحرك وسط هذه الزحمة، تشارك في السباق الذي أجلسها على هذا الكرسي منذ أربع سنوات، تتحكم في سيرها عبر الضغط على أزرار تساعدها في مواصلة سيرها. تتحدث أم علي والإبتسامة مرسومة على شفتيها فتقول: «أنا لا أكترث بمن حولي، واعتبر هذا الكرسي بمثابة سيارة تقلني إلى كل مكان، ولم أعد أهتم بالأقاويل والهمسات التي تلتف حولي كسياج يحصرني في مكاني: «يا حرام الله يعينها، كيف بتقدر تتطلع وهي هيك، لو أنا ما بطلع من مره».

وتضيف: «أنا لا أعرف لما كل هذه الشفقة، فالحمد لله أنا مرتاحة لوضعي، ولا أشعر أنه ينقصني شيء، فهذا الكرسي بدل قدّمي، فهما في استراحة طويلة الآن»، وضحكت قليلاً. وقالت أم علي: «أنا أم لخمسة أطفال، وحياتي العائلية موفقة جداً، ولم تتغير عما قبل، بصراحة في البداية واجهت صعوبات كثيرة في التأقلم مع وضعي الجديد، ولكن دعم زوجي وقوة إرادتي هما اللذان أوصلاني لما أنا فيه الآن، من قناعة تامة ورضى عن حياتي». ويقول زوجها: «زوجتي امرأة قوية، تجاوزت هذا الحادث بسرعة، واستعادت ثقتها وحيويتها بعد أشهر من وقوع الحادث، وأسلوب حياتنا لم يتغير عما قبل، وهذا بالطبع بسبب قدرتها على الصمود والتحمل، في سبيل زرع السعادة في طريق من تحب، على الرغم من وضعها». زارعة السعادة أو قاهرة الألم كما يسميها زوجها، تؤكد أن الحادث على الرغم من مأساته، إلا أنه غير حياتنا للأفضل، وعلمها الكثير من الأمور، التي كانت غامضة في حياتها، وأرشدها إلى طريق بحثت عنه طويلاً.

عمل وإنجاز

وتقول أم علي: «أما بالنسبة لعملي، فأنا مُدرسة، وهذه المهنة لا تحتاج لقدميّ كثيراً، بقدر ما تحتاج للساني وعقلي وقوة تحملي قبل كل شيء، فقد واصلت مسيرة حياتي كما كانت، أذهب كالعادة إلى المدرسة في الصباح، بعد أن أُنجز كل شؤون المنزل، استيقظ مبكراً وأُحضر الفطور وأرتب المنزل، وبالصدفة منزلي لا يحتوي على أدراج، وحتى الطريق إلى المدرسة سهلة مع أنها طويلة، فالذي تغير فقط وسيلة الذهاب للعمل». وتقول أن زوجها خصص لها سيارة خاصة، ولكنها رفضت، لأن هذا الكرسي يساعدها كثيراً، ولا يعيق حياتها، فهو كهربائي ومريح وسهل الاستعمال. «الكل يلومني على إصراري في إكمال عملي، ويقولون أن حالتي المادية جيدة، فلماذا العمل؟ «فتعلق أم علي: «الناس لا يفهمون مشاعري، فالمسألة ليست مجرد أموال، المسألة مجرد إثبات وجود، وتأكيد على تحدي الصعاب، بالإضافة أني لا أشتكي من أي مرض، وصحتي جيدة، وأنا لا أعتبر عجزي مرضاً».

أما عن تفاصيل الحادث، كانت الأجواء شتائية والضباب كثيف، وقع الحادث بعد انتهاء الدوام المدرسي، كنت سأقطع الشارع للجهة الأخرى، فلم ألحظ اقتراب السيارة بسبب الجو، فصدمتني وأوقعتني مشلولة على هذا الكرسي منذ أربعة سنوات، حاولت بكل الطرق العلاجية لكن لا فائدة.

وتقول بصوت مليء بالإشتياق والحزن، أنا لا أنكر أني مشتاقة لقدميّ وهما تتحركان بحرية، خاصة بعد أن حرمت من ممارسة بعض التمارين والألعاب التي أفضلها، وخاصة الجري والسلة والريشة، ولكن الآن أمارس السلة والريشة بشكل خفيف. وتؤكد أم علي أن الصحة التامة هي أساس كل شيء، ولكن الإرادة تبقى أقوى من كل الإعاقات، والعالم مليء بأشخاص حالتهم أسوأ من وضعي، ولكنهم فعلوا أشياء عظيمة، فأنا أرى أن الإنسان الناقص هو الذي يبدع.

اغتراب

نجوى غانم

صوت الطيار يعلن إقلاع الطائرة من الأردن إلى السعودية، وبالرغم من ذلك، فهي لا زالت غير مصدقة أنها قريباً سترى وجه أمها الحبيب، بعد فراق دام ست سنوات. كان فيها الأثير هو وسيلة التواصل الوحيدة بينهما، يحمل شقاءها خلف عبارات الشوق والفقد لأم لا تتحدث العربية، لكنها تحمل قلب مفعم بمخافة الله. وأي لغة غير العربية تستطيع أن تعبر عن مدى عذابها لاغترابها في وطنها، واشتياقها لحضن أمها! ست سنوات وهي تحاول إقناع نفسها وأمها أن والدها لم يظلمها، عندما تمم خطبتها دون أن يعلمها لتعود لغزة، فتجد خطيبها بانتظارها، يريدها أن تبثه حبها واشتياقها، فيرى في ملامحها غير ذلك، فيصر على الزواج بها ليكسر كبريائها.

تسند ظهرها لظهر مقعدها، وعبر النافذة تشخص في السحب المتناثرة، تبدو ناصعة البياض نقية، كلون فستان زفافها، الذي ظل ينتظر إسرائيل أن تسمح لأنامل أمها أن تسويه لها حتى يأس من الأمل وسوى نفسه، تبتسم بأسى، عندما تذكر كيف جلست في مقعد العروس تتصفح وجوه المدعوين، فلا تجد بينهم وجه تألفه، كل الوجوه كانت غريبة، وكل الملامح كانت جامدة، منها الناقدة ومنها الحاسدة، فكيف لا، وهي التي فازت بالرجل المميز، الذي يجلس إلى جوارها بعنجهية، تلتهمه نظرات الفتيات، وهي ما زالت تجهل من يكون.

هل كان ذنبها أن تزوج والدها بامرأة غربية، فأنجبتها لتتزوج بهذا الرجل، الذي يحارب الغرب في شخصها، وينتقم لهزيمة العرب من كبريائها النصف غربي، ويمارس عليها صنوف الأذى منتفعاً من التشابه الكبير بينه وبين والدها، ومن عدم قدرتها على مغادرة القطاع بسبب الحصار، وعدم امتلاكها لهوية فلسطينية، وقبل ذلك عدم قدرتها على اتخاذ قرار هجرانه، لأنها بذلك ستحكم على نفسها بالبعد عن أمها إلى الأبد ،حيث لن يسمح والدها لابنة متمردة ناشز بالعيش في كنفه الحنون.

كانت تتمنى لو أنها رزقت بأطفال، ترى من خلال ابتساماتهم البريئة ألوان أخرى للحياة غير اللون الأسود، بأنامل مرتجفة مسحت دمعة مكابرة ترفض السقوط من مقلتها، وتتذكر كيف اعتدى عليها بالضرب في بداية حملها الوحيد فأجهضه، وأجهض معه أي أمل لها في أن تصبح أم في يوم من الأيام. كان ذلك بعد عامين من زواجهما، ومرت بعد ذلك أربعة أعوام، زارت فيها معظم أطباء القطاع لتعرف العلة في عدم الحمل دون جدوى. وها هي اليوم عائدة لبيت أبيها بمفردها كما غادرته بمفردها، لكن الأسى الذي بداخلها ضاعفته سنوات اغترابها آلاف المرات.

لا زالت تجهل سبب عدم إقدام زوجها على الزواج من أخرى، بعد أن فقد الأمل في أن تكون أماً لأبنائه، ربما خوفاً من اكتشاف عائلته لجرمه في حقها، أو خوفاً من والدها، أو ربما أجل ذلك حتى تكمل براتبها سداد ديون المنزل الفاخر الذي يسكنه، والسيارة الحديثة التي يركبها! إذ كان بإمكانه أن يسمح لها بالسفر مستخدمة جواز سفرها الأجنبي، لكنه كان يخشى ألا يسمح لها القانون الإسرائيلي بالعودة للقطاع، إن هي غادرته كمواطنة أجنبية!

كثيرة هي التشابكات في رأسها، ومن الصعب فكها، فهي لا تملك أي طرف للخيوط، إذ لم تكن يوماً تمتلك زمام أي أمر، فطوال حياتها مسيرة تبعاً للخطى التي يرسمها لها والدها. أما في هذه اللحظة، لا شيء يشغل فكرها سوى رؤية أمها وإخوتها. تنتهي الرحلة، وتجد إخوتها بانتظارها في المطار، ودموعهم تغطي عيونهم، أنعشها اللقاء الحار والأذرع الحنونة التي ضمتها بحب وشوق حقيقيين، لا مصلحة من ورائهما. وفي المنزل كان والدها بانتظارها في غرفة مكتبه، إذ لم يتضاءل كبرياءه بمرور السنوات الست الماضية. بخطوات هادئة اتجهت صوب مكتبه، بعد أن شعرت بأن أمراً ما قد حدث من خلال دموع أمها، التي عانقتها قبل ذراعيها. وقفت أمامه كما وقفت منذ ست أعوام ليحكم عليها بالاغتراب، وينفيها إلى وطنها لتعيش فيه غريبة وحيدة، مثلما كانت ابنته الوحيدة، ليخبرها الآن قبل أن يمد يده لمصافحتها كأي غريب، أن زوجها اتصل ليعلمه أنه يقوم بإجراءات الطلاق منها، لأنها امرأة عاقر، ولن ينتظر أكثر ليصبح أباً. فتبتسم وكأنها تلقت أخيراً بعد سنين من الحزن خبراً مبهجاً، وتتجاهل يد والدها الممتدة لمصافحتها عبر طاولته الفخمة، وتستدير متجهة لغرفتها التي افتقدتها كثيراً، وتغلق خلفها ست سنوات من الاغتراب والانتماء لرجل لا زالت تجهله!

المسنون فريسة للتهميش والنسيان

محمود الفطافطة

يعتبر المسنون في دول العالم، خاصة الفقيرة منها من الفئات المهمشة التي تتطلب اهتماماً واسعاً من ناحية السياسات، وعناية بالغة من حيث تقديم الخدمات. فهؤلاء الذين كانوا، يوماً، المدماك الرئيس الذي قامت عليه المجتمعات وتطورها، ينتظرون اليوم من يمدهم بالعون والرعاية والاهتمام الخاص.

وفي الوقت الذي يؤكد فيه الدين والتقاليد والمواثيق الدولية على رعاية المسنين ودعمهم مالياً واجتماعياً ونفسياً وصحياً، فإن كثير من أفراد هذه الفئة على مستوى العالم، يفتقرون لأبسط الخدمات الواجب تقديمها لهم، سيما المتعلقة باستحقاقات كالاستقلالية والمشاركة والرعاية وتحقيق الذات والكرامة، تلك المبادئ التي أكدت عليها الأمم المتحدة واعتمدتها في العام ١٩٩١.

وبعيداً عن شمولية التعميم في هذه القضية، فإن هذا المقال يركز على واقع المسنين الفلسطينيين، من حيث أعدادهم، وواقعهم، والحقوق المستوجبة لهم، والآليات المناسبة لتحسين أحوالهم. بداية، يجب التنويه إلى أن إحصاءات العام ٢٠٠٧، تشير إلى وجود ٤٦٤ مليوناً من المسنين في العالم، يشكلون ٧٪ من سكانه، وأنه من المتوقع أن يبلغ هذا العدد أكثر من الضعف بحلول عام ٢٠٥٠، كما وأن نسبة كبار السن في البلدان المتقدمة (١٦٪)، تظل أعلى مما هي في البلدان الأقل تطوراً (٦٪)، مع وجود أعلى المعدلات في أوروبا الغربية واليابان. وفي هذا الإطار ننوه إلى أن المسن هو الذي بلغ الخامسة والستين من العمر فأكثر.

نعود إلى واقع المسنين في فلسطين، ونبدأ بعددهم، حيث بين المركز الفلسطيني للإحصاء، أنهم يشكلون ٣٪ من السكان (٣،٣٪ في الضفة الغربية، و٢،٦٪ في قطاع غزة)، أو ما يقرب من ١١٣ ألف شخص، (٣٧ ألف في القطاع و٧٦ ألف في الضفة). وتشير إحصاءات المركز، إلى أن نسبتهم ستتقلص مستقبلاً لتصل إلى ٢،٨٪ في ٢٠١٠، وإلى ٢،٩ ٪ في عام ٢٠٥٠. أما بخصوص العمر والجنس، فتبين الإحصاءات أن النساء يعشن عمراً أطول من الرجال، وأن كبار السن في الأراضي الفلسطينية شكلوا في العام ٢٠٠٦ ما نسبته ٢،٦ ٪ من الرجال، بالمقارنة مع ٥،٣٪ من النساء، حيث يبلغ التناسب بين الجنسين ٧٥،٢ ذكراً لكل ١٠٠ أنثى.

هذه الأعداد الكبيرة والمتزايدة من كبار السن في الأراضي الفلسطينية، تحتاج إلى برامج ومساعدة خاصة، من أجل تلبية احتياجاتهم. وقبل التطرق إلى مثل هذه الاحتياجات، يستوجب الإشارة إلى واقعهم. فمن حيث الوضع الاقتصادي، أظهرت بيانات المركز الإحصائي لعام ٢٠٠٣، أن ٤٢٪ من مجموع السكان المسنين يعتبرون فقراء، ويمثلون ٩،٤٪ من مجموع فقراء فلسطين، وأن ٣٢٪ من الذكور المسنين يعملون، بالمقارنة مع ٥٪ من الإناث.

وفي مقابل هذا الواقع البائس، لا تقدم الجهات ذات العلاقة إلا الشيء القليل لهذه الفئة المهمشة، فوزارة الشؤون الاجتماعية تقدم مخصصات شهرية لعدد محدود من كبار السن على أساس الحاجة، وفي عام ٢٠٠٩ كان حجمها ٩٠ شيكلاً شهرياً. هذه المصادر المنخفضة من الدعم المالي، إلى جانب غياب الضمان الاجتماعي، لا توفر للمسنين الوسائل المالية الكافية لتغطية مصاريفهم اليومية والنفقات الطبية المتزايدة، خصوصاً عندما لا يتوفر لهم أي مصدر آخر للدعم. وإذا دققنا في النسب، فتشير الإحصاءات أن ٤٤،٧٪ من المسنين ليسوا راضين عن الدعم الذي يتلقونه من الأسرة، و٤٣،٦٪ ليسوا راضين عن البرامج الحكومية، ٥٦،٦٪ ليسوا راضين عن الدعم من المؤسسات غير الحكومية.

وبخصوص الوضع الاجتماعي، فمعدلات الأمية ترتفع بين المسنين، إذ أن ٨١،٥٪ منهم لم يكملوا أية مرحلة من التعليم المدرسي، وهناك عدداً أكبر من النساء المسنات اللواتي لا يجدن القراءة والكتابة (٨١،٧٪) بالمقارنة مع الرجال المسنين (٥١٪). هذه النسب تدفع القائمين على المسنين، العمل على زيادة مهارات هذه الشريحة في القراءة والكتابة، من أجل المساعدة في تحسين وضعهم الصحي، إذ سيكونون أكثر قدرة على الاستفادة من التثقيف الصحي والاعتناء بصحتهم، مع الإشارة هنا إلى أن النساء اللواتي يجدن القراءة والكتابة، يتمتعن بصحة جسمية أفضل بقدر ملموس من النساء الأميات.

وبشأن الصحة الجسمية، فتبين الدراسات أن المشكلة الصحية الأولى التي يعاني منها كبار السن في فلسطين، تتمثل في ارتفاع ضغط الدم، يليه مرض السكري وأمراض القلب، والتهابات المفاصل وهشاشة العظام، والتي من شانها أن تحد من قدرة هؤلاء المسنين، خاصة النساء، على الحركة وأداء الأنشطة اليومية. جدير بالذكر هنا، أن النساء المسنات يعانين من جميع الأمراض المزمنة بمعدلات أعلى، بالمقارنة مع الرجال المسنين.

كل ذلك ينقلنا إلى طبيعة الخدمات المقدمة إلى المسنين الفلسطينيين. تقدم وزارة الشؤون الاجتماعية خدمات محدودة للمسنين، وتشمل المساعدات الطبية (بالتعاون مع وزارة الصحة) والتأمين الصحي، وتقديم المساعدة المالية للبعض، وبمبالغ قليلة، وترميم المنازل لعدد محدود من كبار السن. كما أن هناك العديد من المنظمات المحلية الخاصة والأهلية، التي تقدم خدمات للمسنين، ويوجد حالياً ٣٦ مؤسسة فقط في الأراضي الفلسطينية تقدم الخدمات للمسنين، وهي تتوزع على ١٤ داراً لإقامة المسنين، و١٤ برنامجاً مجتمعياً للرعاية المنزلية، وثمانية مراكز وأندية للرعاية النهارية، توجد سبعة منها في مدينة القدس.

وجدير بالذكر، في هذا الإطار، أن وزارة الشؤون الاجتماعية حددت في خطتها الاستراتيجية لعام ٢٠١٠، أهدافاً جديدة لتحسين الخدمات والرعاية المقدمة لكبار السن، تشمل تحسين البيئة المنزلية، ودعم وتطوير دور الإقامة للمسنين في جميع المواقع الجغرافية، ووضع قانون لحماية حقوقهم، ودعم المنظمات المحلية التي تخدمهم، وتشجيع العمل التطوعي المفيد لهم، إلى جانب خدمات الرعاية الصحية وغيرها. في حال تنفيذ هذه الأهداف، فإن خطوة كبيرة ستتحقق نحو تحسين الخدمات المقدمة للمسنين، ولكن هذا الأمر يعتمد إلى حد كبير على توافر الأموال والاهتمام الرسمي المطلوب.

استناداً إلى كل ما سبق نؤكد: أن هذه الفئة التي كان لها دور في بناء المجتمع ومؤسساته، لها حقوق يجب أن تقدم، ورعاية يستوجب أن تتحقق. على القائمين على مثل هذه الفئة أن يدركوا أهمية العناية بالمسنين وتقديم العون المادي والمعنوي لهم، وأن يوفروا البرامج الخاصة لمحو الأمية، خاصة بين النساء، والعمل على إقامة برامج اجتماعية لزيادة تفاعلهم ونشاطهم، وضرورة إقامة مؤسسات أكثر تقدماً وتخصصاً لتقديم الخدمات للمسنين. وقبل كل هذا وذاك، يتوجب على المجتمع أن ينظر إلى هذه الفئة نظرة احترام، وأن لها الحق في الخدمات، لا نظرة عطف فقط.

شعرية السرد، وثورة الروح في رواية «النعنع البري» لـ «أنيسة عبود»

د.فاطمة الشيدي

(١)

الكثير من الروايات قد تقع بين يديك، ولكن القليل منها يضع وشمه في خارطة روحك وفكرك وأبجدياتك، القليل منها يجعلك تشعر أنك أنت من كتب هذه الرواية، أو تتمنى أن يكون ذلك قد حدث فعلا، الرواية التي تقول عنك ما تريد قوله، إنها تخلصك من إثم التفكير، وبلاغة النضد والحفر والألم، والوعي في مستويات اللغة والروح وتتساءل كيف حدث هذا؟

ورواية «النعنع البري» للكاتبة السورية «أنيسة عبود»، واحدة من هذه الروايات القليلة التي لا يمكن أن تقرأها دون أن تصاب بالدوار وبالولع والهذيان، لأنها تتحرك وفق عدة منطلقات ومرجعيات وآفاق، فهي رواية الإنسان بأبعاده الإنسانية المحضة، بروحة الشغوفة بالحقيقة، وقلبه النابض بالعشق، ووعيه المشتغل على التفنيد والحفر، الإنسان البسيط بكل ما يحمله من تطلعات وأحلام صغيرة، لا تفتأ الحياة أن تضع عليها علامة مصادرة بـ ممنوع، أو قف، حتى لو كانت هذه الأحلام لا تتجاوز خبز الكرامة، وأمن السقف، وشرف الكلمة.

وهي رواية المرأة في مجتمعات عربية لا تعرف منها سوى الجسد، مجتمعات تفننت في ظلمها واضطهادها من المهد إلى اللحد، وهي رواية الأرض المتحدة مع الروح بهوائها ومائها وسكانها وأحلام ساكنيها، ورواية التاريخ بكل ما يمكن أن يحكيه أو يسكت عنه، وما يمكن أن يكون محضا خاصا، أو مشوبا بالتزييف والكذب، ورواية الميثلوجيات والأساطير التي تتلبس الإنسان، فيصدقها ويتحد مع رموزها وعناصرها، ورواية الشعراء والمجانين والحالمين والشرفاء والفقراء والبسطاء في مقابل الأقوياء والأشرار والناهبين.

قال عنها جمال الغيطاني في غلافها «أي وجد هذا الذي يعجن الكتابة والأزمنة: فتندغم المصائر والمكابدات، ويتذرر النعنع البري، ثم يموت وينبعث لافحا الكون برواية؟»

(٢)

الحكاية في النعنع البري ليست جديدة بل قد تكون متكررة، مع كل مختلف ومغاير للسائد والقطيع، وما يعانيه في سبيل وعيه وصدقه وكرامته وأفكاره، إنها حكاية امرأة من الريف السوري (عليا) أكملت دراستها في فرنسا متحصّلة على درجة الدكتوراه، عائدة للوطن بأحلامها وبجمالها وبعمرها الذي بدأ يزم خطواته نحو البعيد، بحنينها للأرض والوطن بخبزه وحضنه وأمهاته، بوعيها الجديد والنامي والمتشكل وفق أفق جديد، متنازعة التكوين بين الأرض والروح والفكر والثوابت والمرتكزات المتشربة لها من حضن الأم ومن رائحة التراب، الثوابت التي لا تستطيع خيانتها وهي التي ترى كل شيء يتداعي بينها وبين الكون، كل شيء يصيبها بعدوى القلق، وحمى الاضطراب، القيم المهزوزة، والغايات النفعية، والصور ذات الوجهين والملامح المتداخلة.

(عليا) التي صرفت سنينها الأولى في قرية تستقي من الحنان والظلم معا، ولم يقدّم لها السفر سوى الكثير من الحمى والأسئلة الوجودية التي تنخر عظامها، والكثير من المقارنات المفجعة، لتعود متشنجة بين تكوين معرفي وقيمي وأخلاقي داخلي، وسقوطات جمعية في العام والسائد بين البشر، أنصاف مواقف، وأنصاف حلول، أنصاف بشر وأنصاف آلهة وأنصاف شياطين، وهي لا تملك القدرة الكافية على التحليل والتفنيد والجزم، فالفصام الذي يسود الخارج يمتد لداخلها أيضا بين مساحة الحرية الواجبة والممنوحة، بين الانطلاق والكبت، بين الثبات والزعزعة، أسئلة وجودية تشمل الكون والوجود والبشر، كما تخص وجودها هي خارجهم وداخلهم.

حتى تحدث المفارقة الأساس في غمرها فتلتقي (علي) الشاعر المجنون عن طريق صديق مشترك بينهما، «حازم» الطبيب النفسي، تقترب (عليا) من (علي) ولكن بحذر، علي الرجل الذي يعيش داخلها من أول صرخة ألم، ومن أول ضحكة فرح، ومن أول خفقة قلب لكنها حين تعثر عليه تكون مرهقة، منها، ومن الناس، من قلب خذله نبضه عدة مرات، ومن الحياة التي تتغير كل لحظة، ومن كون لا تقوى على مجابهته، هي تعرف أنها أحبته، ولكنها لا تقوى على الجدران المرتفعة بينهما، والأشواك المتنامية داخل كل منهما، كل ما تعرفه أنها ترتاح لمجرد فكرة وجوده ضمن فكرة وجودها على هذه الحياة، علي الذي هو أيضا ابن الظلم والقهر والشظف والقرى المحمومة بالحب والرائحة والغياب، القرى الملعونة والمبتلية بعقد التسلط والطبقية، علي الذي أحب ليلى من طفولته وتزوجها، ولكن الموت اختطفها منه بغتة، علي الشاعر الذي واجه الموت والظلم والحزن والفقد بروحه ولغته فقط حتى آخر قهر.

وهكذا تسير الرواية متداعية بين الماضي والحاضر في تداخل لغوي عجيب، وفق منطق الظلم الكوني، فـ «عليا» لا تستطيع المثول بقيمها في واقع هش ومريض، فتطرد من الجامعة؛ لأنها لا تستطيع تمرير حالة غش لإحدى طالباتها، التي هي ابنة رجل واصل أو وصولي، ويتم محاصرة روحها وأنوثتها وفكرها، لذا تبلغ معاناتها أشدها، ولكنها ترفض الاستسلام، . «أمي الفلاحة قالت لي لا تنحني أمام العصا»، ومع هذا تصبح غير قادرة على الاستمرار، أو الثقة في أحد، ولا في شي، يصبح كل شيء متزعزعا وآيلا للسقوط. و«علي» الشاعر يتم تدميره وتشويه صورته الأخلاقية الخارجية لأنه رفض تبديل مواقفه، فتزداد الصورة تشويشا في ذهن عليا، وسامح يعيش معاناة صديقيه، أو صديقه و حبيبته التي أحبت صديقه، علي يسجن ويشوه شعره، وعليا تختفي وسامح يقضمه الحزن. «مرت شهور على غياب امرأة كانت تملأ المدينة حضورا وحياة وجمالا، شهور راح السؤال يشيخ بعد ذلك، والعنكبوت نسج خيوطه على اسمها الذي لم يعد يتردد إلا قليلا..»، «مرت أيام على خلوة سامح بعلي ، من يداوي من؟ لا أحد يعرف ، من يعاتب الآخر، لا أحد يعرف.»

(٣)

تمثل الرواية أو تمتثل بين روح البشر، والمواقف والآلهة الكثيرة التي تتوزع في مفاصل النص فتأتي الرواية وكأنها مشتقة أومقتنصة من ميثلوجيات قديمة، وكأن شخوصها لهم امتدادات عميقة وواسعة في تاريخ المكان وأساطيره، إنها ليست رواية واقعية، أو حاضرة أو مجتثة الروح من المكان وهي كذلك، وهي أيضا ليست رواية تاريخية أو أسطورية أو قديمة زمانية وهي كذلك، أنها حالة

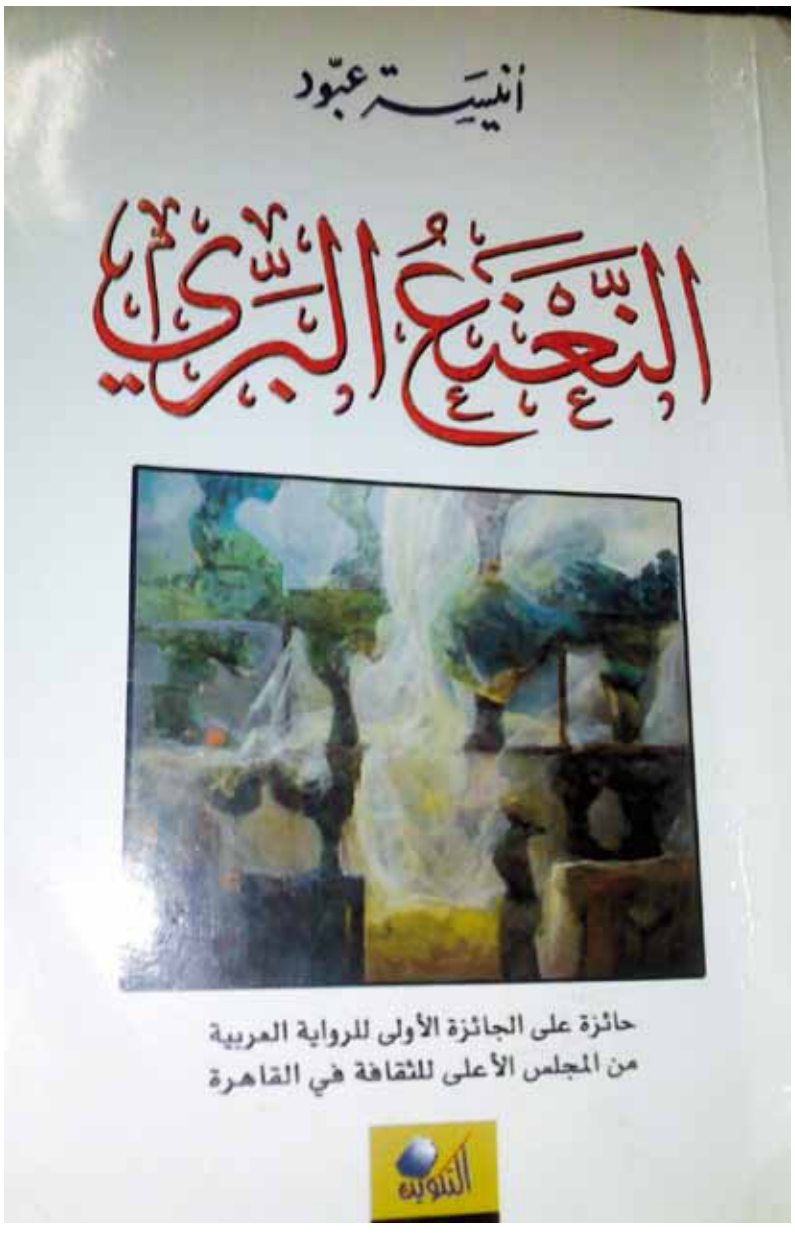

من الامتداد التاريخي، بين الكيان والكينونة، وبين التاريخ والجغرافيا وبين الماضي والحاضر، وبين التاريخ والواقع، وبين الحقيقة والأساطير في نظم مدهش، وكتابة إبداعية جديدة وخاصة. «البتول»عنت» أخت بعل.. الاله الذي قتله الجبار»موت» انتقمت لأخيها طعنت «موت» ودفنت بعل على رأس جبل كاسيوس المقدس . عند ذلك عاد بعل= هدّاد إلى الحياة.»

(٤)

الرواية تحاكم المجتمع وتجرّمه، ولكنها لا تحاول أن تصرخ في وجهه، بل تقدم كل ذلك الظلم بيأس مطلق، وحزن أبدي، وكأن هذا الظلم والقهر المتكوّن ضمن أزمنة تاريخية وأسطورية غير قابل للتغيير، وكل ما يمكن أن تقدمه كراوية هو محاولة التظهير والتأويل والتفنيد له، فهي تعطي نتائج هذا الحال ألما ووجعا وحزنا وموتا، ولكنها لا تريد أن ترمسن الفعل باقتراح حلول، أو انتظار نتائج إيجابية، أو حتى بأمنيات بانفراج في الواقع المتكون تاريخيا ضمن عقدة القوي والضعيف والغني والفقير.

ويظهر ذلك كثيرا من خلال تقديمها لقضية المرأة، ألست المرأة المثقفة التي تبحث عن تأكيد ذاتها بالمعرفة والحب والعمل؟ المرأة التي تعرف كيف تجرح وكيف تعتذر، وكيف تقول لا، عندما تعرف كيف تقول لا تكون المرأة قد تحررت؟ المرأة المختلفة عن أم هاشم، وعن جدتك نعامة، وعن خديجة زوجة محمد برهوم»، فالمرأة في الرواية هي الأم والأخت، هي المظلومة كثيرا والظالمة أحيانا، فالرواية التي تنتصر لقيمة المرأة، وتشرح وتشرّح مظلوميتها ضمن حالتها الاجتماعية في مجتمعات ذكورية فجة ووقحة وفصامية في تعاملاتها اليومية والتاريخية مع المرأة «كل ذنبها كان فقط لأن جسدها يمتد من تاء التأنيث إلى نون النسوة»، وفي نظرتها لها وفي علائقها معها، لأنها مجتمعات فصامية تضمر فكرة النقص والقصور، وتتعامل مع ادعاءات الحرية، مجتمعات يحركها الرجل المضطرب في تعامله مع المرأة، فهو يظن بها الظنون ويحيك لها المكائد ليوقعها في حبائله، ولكنها ما أن تتمنع عليه حتى يظهر لها أنياب الوحش السامة. «عندما يريدون امرأة يتحولون إلى مدافعين عن حرية المرأة، وحرية الجسد، وحرية الفكر، وحق المرأة في تقرير مصيرها، بينما يكون المفتاح الذي يقفلون به على أخواتهم وزوجاتهم في جيوبهم السرية».

على أن الرواية تقول كل هذا بهدوء تام وبحيادية وموضوعية مطلقة، ودون أن تضع الحق كله على الرجل، ودون أن ترفع صوتها بمطالبات الفكر النسوي، ربما لأنها ترى أنه لا جدوى منها، ولا يمكن لها أن تتحقق في هكذا مجتمعات آسنة، وراسخة وغير راغبة في التغيير، وكثيرا ما تشرك المرأة والرجل في الظلم والقهر الاجتماعي، وفي الخطأ والصواب فكلاهما بأخطائه وصوابه نتاج الفصام والظلم والقهر المجتمعي الممتد والراسخ، والروح والكرامة المهدورة لصالح الأقوى رجلا كان أو امرأة. «»لكن لماذا هذه الأقنعة المكدسة منذ العصور الأولى ؟ أيخافون بعضهم أكثر مما يخافون الله؟ قناع مناسب لكل زمن يا أستاذ، قناع محترم لكل جماعة يا امرأة.. قناع وأقنعة. و..الحرية = حرق الأقنعة، الحرية = وجه بلا قناع، حيوان لطيف بلا مخالب.»

(٥)

تتميز رواية النعنع البري بجمالية وافرة في اللغة والصورة، فهي رواية تنسج ملامحها بلغة عذبة وشعرية حقيقة، فالرواية أشبه بقصيدة نثرية غاية في التوغل والعمق، قصيدة متعددة الأصوات والأرواح والرؤى فهناك صوت «عليا»، وصوت «علي» وصوت «حسام» تتناوب السرد، وأصوات أخرى جانبية كخلفية أو كومبارس للعازفين الأساسيين تسهم في السرد بين علو وخفوت، ولذا يجد فيها كل من يرتهن ويراهن على روح النص وشعريته ما يمكن أن يفيض عن روحه وحدسه وملكوته الداخلي والخارجي، فيشهق ممتلئا بهذا الجمال الشعري واللغة المتدفقة، لغة صانعة للنص، وليست في معزل عنه، فهي تسير مع أفكاره في بناء النص، وتكوينه بشكل معماري أخاذ وملفت، وتقول على لسان شخوصه ما تريد من معاني واضحة أو ضمنية واقعية أو أسطورية.

لذا فالنعنع البري ليست رواية القراءة الأولى والوحيدة، وليست رواية الجيب ولا رواية الانتظار، ولا حتى رواية الحافلة، إنها رواية السرير أو المكتب، رواية عليك أن تكون بكلك حاضرا معها، رواية لا يكفيها منك ما يكفي غيرها، فهي أشبه بكائن عميق، لن تعرفه من حوار واحد، أو معرفة هشة على قارعة الحياة، بل عليك مناورته ومحاورته كثيرا للوصول إلى أدغاله العميقة، ومناطقه الخاصة المحفوفة بالشجن الحاد، والوعي الجارح، والعمق الموارب، والمكر المدهش أحيانا، لذا عليك كثيرا أن تكون متحفزا لالتقاط إشاراتها، وفهم مدلولاتها البعيدة.

إنها رواية القارئ الباحث عن الأعمق والموجع من الكلمات والأفكار والأحلام، رواية عليك أن تمتلك في حضرتها مبضعا جيدا لتستطيع تشريح واقعها وأساطيرها وحاضرها وماضيها وشخوصها وأمكنتها، ومع كل هذه الممكنات ستشعر أنك في حاجة لأكثر من قراءة.

بل إنها رواية تقدم لك مقترحات جديدة للقراءة، كما قال عنها نبيل سليمان» بلقيس هي أم عناة، أم ليلى أم ماري؟ عليا هي أم عشتار؟ كي نتلمس جوابا تقترح هذه الرواية قراءة جديدة مثلما تقترح كتابة جديدة.»

---

* النعنع البري، دار الحوار ، « عام ١٩٩٧ وقد فازت بجائزة المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة ..

* أنيسة عبود كاتبة سورية، ولدت في جبلة ١٩٥٧ ، صدر لها روايات: (النعنع البري)، (بابُ الحيرة)، (ركام الزمن ركام امرأة)، وفي القصة:(حريق في سنابل الذاكرة)، (حين تنزع الأقنعة) ،(تفاصيل أخرى للعشق)، (غسق الأكاسيا) ، وفي الشعر (مشكاة الكلام) ،(قميص الأسئلة) ونشرت العديد من المقالات في الصحف.

*التضمينات من متن الرواية

عن ملحق أشرعة – جريدة الوطن

كل عام وأنت اقرب

رسائل فلسطيني إلى امرأة نائية

بقلم: عدنان الصباح

سيدتي البعيدة

كلما حاولت الهروب منك، وجدتك تعودين إلي بأشكال وأسماء وحكايات جميلة، فجأة تقفزين أمامي لتقولين لي ها أنا قدرك الذي لن يغيب أبداً.

وقدري أنت، يقيني أنت، حبيبتي التي أجوب الأرض بحثاً عنها، فيما تقفين أمامي، فلماذا نحب إذن المسافات البعيدة والاغتراب والمجهول، فيما هي الحقيقة أجمل، أهي حكاية فلسطينية أم أنها مرض فردي لا فكاك منه؟ جميلة أنت، ومن يقول غير ذلك، حتى لو كنت أنت فهو مخطىء، فلا تمسكي بالمرايا، لأن مرآتك الوحيدة على وجه الأرض هي هنا في قلبي، وحدي أمارس رسمك كما أشاء، وأكتب لك كما أشاء، وأضع الكلام في فمك لتقوليه لي كما أشاء، وأحفظ أغاني العشق القديمة لأغنيها لك وقتما أشاء، وحدي من يمسك هاتفه النقال كل الساعات، لعله ينبض بصوتك يوماً، لتقولي لي ها أنا هنا فلا تذهب بعيداً أيها التائه في صحراء الحب المستحيل، إبق على يقينك، لا تذهب بعيداً فتراب الأرض الدافىء يقين، وحكايات الوطن المنقوشة بالعرق على حجارة الوادي القريب يقين.

فلسطيني أنا، والفلسطيني لغة، كناية عن الغربة، والغربة إغتراب، والإغتراب ألم، والألم بحاجة نحن للهروب منه، أمس كنا كذلك، نهرب من غربتنا بإغترابنا، فيحتوينا الألم، فنهرب من آلامنا إلى نارنا نوقدها في وجه الأعداء، وعلى دروبنا المسروقة منا لنشتعل بحنين الإنتماء والفعل، ظل هذا الفعل حي إلى أن احترقنا بنارنا، ظل الإغتراب يأتي من الغربة القسرية، فننتصر عليه بالمشي إلى الوطن، بفعل النار والنور، على أمل الوصول، إلى أن تمكنوا من تحويل الوطن إلى غربة، ودفعنا للإغتراب هنا رغماً عنا، لنبحث عن الوطن في الوطن، أو لنخجل من أجمل الأوطان كما كان يوماً، لأن ناسه نسوه لذاتهم، وذاتهم لم تعد تعرف الفعل الجمعي أو الاسم الجمعي، بل صار المفعول الجمعي بفعل الآخرين أياً كانت لبوسهم، وصار اسم فلسطين أنا وهو، ولم تعد كما كانت، نحن.

أدري جيداً كم يتعبك هذا الحب اللعين، الذي لا ينفك يحمل الشكوى تلو الشكوى، ولكن لا خيار لدي يا حبيبتي، فكل ما أحتاجه لأتمكن من ممارسة فعل الحب معك هو وطن حقيقي، وطن مزروع بالفرح كما الحنون، وطن سياجه الحب وروداً والحنين قصائد، والبوح على بواباته لغة العاشقين، لا بواريد القتلة، ودون وطن من هذا القبيل لا عشق ممكن، ولا حب ممكن، لا فعلاً ولا لغة، ولا مكان للقصائد المنمقة الكلام، وعلى شفاهنا فوهة باروده.

أنا أحبك وأشتاقك وأعيشك حلماً، لأن الحقيقة قاسية، ولست بقادر وحدي على أن افرش لك الأرض وروداً، ولا أن أجعل السماء تمطر حباً، والحب يأتي إلى غزة خبزاً من دروب الآخرين وبحرهم، لا من هنا، وكذا يملؤني الحلم بأن تأتي من هناك، ألا يجوز إذن تصدير الحب كما يتم تصدير الخبز إلينا، فتأتيني من أطراف مراكش أو بوابات الشام، أو مآذن القيروان أو حواري الناس في القاهرة، أو جبال عمان القريبة من نارنا، أم أن القدس بوابة للحب أعظم، وعلى أبواب جنين وفي قلبها متسع من الحب أكبر، فلم إذن أجوب الأرض بعيداً بحثاً عنك، وأنت هنا على بعد أمتار قليلة.

حبيبتي

ممكن هو الحب لغة، وممكن هو العشق من حروف الكلام واهتزازات الوتر، فلم تصرين إذن على البعد، رغم كل محاولاتي للإقتراب، وكل الأمنيات، فتعالي نزرع الدنيا معاً بالحب، وننتصر عليهم رغم كل جنونهم ونارهم، التي لا تأتي من اشتعال الحب، بل من جحيم الكراهية والبغض، ولست أعرف مضامين هاتين الكلمتين، ولست معنيٌّ أنا، وكذا أنت، بأن ننتمي لنارهم، فنار القلب ونار الوجد ونار العشق أجمل، وإذا كان لا بد للنار في حياتنا وعلى أرضنا، فلتكن نار حبي أنا، ولتكن نار شوقي وجنوني بحبك.

أحبك تشبهين حب التين الذي تحمله نساؤنا إلى أطراف سور القدس، تشبهين المشمش الجنيني الناضج، تشبهين محار بحر غزة، تطالين السماء بقامتك كما تفعل جبال نابلس الرائعة، كرايات الكرمل الخضراء، وأصالة الحجارة في عكا. أحبك فلسطينية، حتى لو رسمت على كفيك رايات البلاد البعيدة، أو كنت هناك، أو جئت من هناك. أحبك فلسطينية تشبه نكهة تطوان، أو تمسكين بذراع بغداد المشتعلة كنارنا، فعلى بوابات الأرض، لا أمسك بواريدهم بل مفاتيح الدنيا واسمها القدس، وتفاريح الفقراء في جنين حين يهل شهر رمضان، ويورق الخير النائم في عيون الذين ظلوا يكدسون النار على صدورهم، حتى يأتي الشهر، الذي يعتقدون فيه أن بإمكانهم أن يسرقوا من الفقراء، إعفاءً عن كل القتل السابق، أو كما يفعل الساسة في بلادنا، فيشقون بوابة السجن قليلاً، ليمر نسيم كاذب، لعل لا أدري من سيسامحهم، وأسالك قبل أن أختم رسالتي، على من يضحك هؤلاء يا ترى؟؟.

«سبع جلود» وأنا

عبد الفتاح شحادة

لم أصدق كذبتي كما صدقتها في تجربتي الأخيرة، كممثل في فيلم «سبع جلود»، مع المخرج خليل المزين وطاقم العمل من الممثلين (نعيم نصر، نضال دامو، مفيد سويدان، رامي السالمي، وبقية الطاقم من ديكورست (عرب، وطرزان) وهما أخوان فريدان حقاً على المستوى الشخصي والفني، والعديد من أفراد الطاقم الذين كانوا خلف الكاميرا، كي نكون أمامها، والأطفال الذين لعبوا أدوارهم الهامة في الفيلم.

نعم لقد أصبت بداء فظيع في تلك الأيام، لقد شعرت بمرض خطير يتغلغل في أنحاء جسدي، وأنا ممعنٌ في تصديق الكذبة. أنا من يشعر بحاجز كبير بينه وبين اللغة العبرية، أصبحت استيقظ لأقول لزوجتي «بوكر توف»، حفظت نصوص زملائي وذلك يعود ربما لقصر نصي الذي اقتصر على ثلاثة جمل ربما وبعض الإشارات والكلمات، ولكنني كنت سعيداً بها، ووجودي المستمر كشخصية منذ البداية حتى النهاية ضمن دورية الجنود الإسرائيلية كجندي إسرائيلي، جعل وجودي مهماً في معظم مراحل التصوير، مما جعل مرضي يتغلغل في داخلي أكثر، وجعل الشخصية أكثر سطوة وقوة!

ربما حتى الآن لا يستطيع أحد فهم كلمة مما أعنيه، ولكنني سوف أوضح كل شيء، وليحتملني الجمع في هذا السرد الدرامي الذي سوف يأتي: لقد وصلنا إلى مكان التصوير الساعة الرابعة عصراً في أول يوم، كلٌ منا استقبل ملابسه (بدلة جندي إسرائيلي) وخوذته بابتسامة عريضة، أخذنا وقتنا في ارتداء الملابس وتعديلها واشتغلت ذاكرة الممثلين زملائي من كبار السن، ليتذكروا تفاصيل ملابس الجنود الاسرائيلين في تلك الفترة، راجعوا الشارات والرتب ووزعوها، حملت أنا جهاز اللاسلكي، ووضعت الخوذة، ومنذ وضعتها شعرت بسطوة تلك الملابس على جسدي وروحي، وكانت الكارثة حينما وقع نظري على قطع السلاح، فلم أشعر إلا ويدي تنتقي قطعة M16 ذات الحجم الطويل، وهي المستخدمة من قبل الجيش في ذلك الوقت، وهناك انسحبت قليلاً إلى الزاوية تحت ثقل الخوذة، وقدمت هاتفي الخلوي فيما أذكر لنضال داموا الذي التقط لي بعض الصور. وهو يقول «يلعن إللي طرقك طالع من الكُبنية»، في إشارة إلى أنني أشبه جندي إسرائيلي إلى حد بعيد، وابتسامة من نعيم نصر تخرج هادئةً، فيما يتقافز خليل المزين «زي الجاجة إلى ع طيزها البيضة مش عارف يقعد» أقول لنفسي، وكل لحظة أنظر إلى وجهه الذي اسود على نحو مرعب تحت وطأة حرارة الشمس اللعينة.

حملت السلاح لبضع الوقت، ثم خرجنا من الاستراحة حيث استضافنا رجل طيب من الحي الذي كان فيه اللوكيشن، خرجنا معاً ٦ جنود وضابط، ومشينا في الشارع في صفين متوازيين، ونحن نتحدث ونتبادل أسماءنا الجديدة بلغة الآخر، نتقمص بشكل ما شخصية جلادينا، فكل واحد منا الآن يلعب دور الجندي الذي آذاه يوماً، فأنا ألعب دور الجندي الذي ضربني وأنا في السادسة من عمري، ضربني كف لن أنساه طوال حياتي، فيما يلعب نعيم نصر دور سجانه، ونضال دور جندي آخر في ذاكرته، وإلا من أين لنا أن نكون بهذه القسوة، في تلك اللحظات. لقد منحتنا تلك الألبسة والأسلحة قوة وجبروت وخيلاء لم نكن لنتصورها مطلقاً، انطلقنا عبر الشارع بأسمائنا الجديدة (حاييم، روني،) فيما أنطلق الأطفال ورائي لينعتوني بصوت عالي باسم «شاليط»، الجندي الإسرائلي الأسير لدى فصائل المقاومة الفلسطينية، جعلني هذا الاسم أصاب بالفزع من نفسي قليلاً، ولكنني ما لبثت أن استعدت قدرتي على التركيز تحت سطوة الشمس والغبار، والأفكار المتلاحقة وربما آلام الرأس التي لم تتركني في تلك الأيام، حتى في ساعات الليل.

ورغم عدم قدرتي على تحدث اللغة العبرية، إلا إنني وجدت نفسي أتابع زملائي الجنود بشكل جيد، بل وأذكر بعضهم بنصه أو بمعناه أحياناً، وتحديداً تلك الجمل التي كان يعجبني سياقها ومعناها، قلت لنفسي حينها أن تتكلم لغة تكرهها من أجل دور في فيلم شيء إيجابي اتجاه رغبتك في أداء الدور والمشاركة، ولكن أن تبحث عما تقوله بهذه اللغة، وتحديداً تلك الألفاظ التي تعودنا عليها في أفواه الجنود الإسرائيليين (ألفاظ نابية)، هناك بدأت أشعر بسطوة الملابس، الخوذة، شارة شعار الجيش الإسرائيلي (الثعلب) السلاح، أصبت بالفزع وأنا أنظر إلى بعض صوري التي التقطها لي زملائي في موقع التصوير.

ونحن نقف في اليوم الثاني تحت الشمس، وأثناء التصوير، مرت امرأة، وما أن وقع بصرها علينا كأن قلبها انخلع، وعلى ما يبدو أنها لم تكن من سكان الحي، أو لم يكن لديها علم بأنه يتم تصوير فيلم في هذا الحي، فصرخت صرخة مكتومة، قبل أن يخبرها الجميع أننا عرب فلسطينيين نمثل فيلماً، فابتسمت وهي تسير بخطوات حثيثة، غير مصدقة أننا لسنا جنوداً إسرائيليين!

رغم أن مشهداً كالذي كنا نصوره في تلك اللحظة، قد انقرض تقريباً من غزة، فلم تعد ترى جنوداً إسرائيليين يستظلون تحت جدار، وكل هذا أصبح من الماضي، إلا أن المرأة لم تشك للحظة واحدة أننا لسنا جنوداً إسرائيليين، وربما يعود ذلك إلى دقة المخرج وفريق العمل في رسم الشخصيات والبيئة المحيطة والملابس وغيرها. هذا وقد انسحبت شخصية الجندي على حياتي الشخصية، قليلاً، ولكن ليس بشكل مرضي، ولا يمكنني إدعاء ذلك، ولكن الدور أعطاني تصوراً حقيقياً لنفسية الجندي الإسرائيلي، فالسطوة التي تحيط به تجعله أكثر وحشية وعنطزة كما نقول بالبلدي، بحيث لا يستطيع أحد صده، فيما كانت سطوة السلاح قد أخذت تتلاشى، فوجوده المستمر بين أيدي الممثلين جعل منه ما يشبه العصى، ولاحظت أن أي انفعال تتبعه حركة من اليد، وبالتالي حركة من السلاح، ففي أحد المشاهد المؤلمة يمر أعمى من بين دورية الجنود، فيقوم أحد الجنود بسحب أجزاء السلاح، فيصدر صوت التكتكة المعهود، فيتوقف الأعمى ويعدل مسار مشيته بعيداً عن الصوت، لكن جندياً آخراً هو من يتولى إعادة العملية، فيصبح الكفيف في حيرة من أمره حتى يخرج من الكادر، ففي هذا المشهد، يستخدم السلاح كأداة تسلية بيد الجنود، وهنا يكمن الرعب، عندما تصبح أداة الموت أداة تسلية بالنسبة لشخص ما، كما أصبحت أداة التعذيب «الصليب» رمزاً مقدساً بعد ذلك لديانة، فهذا التحويل لاستخدام الأداة جعلني أرتعب حقاً.

أذكر عندما سرنا في دورية، كنت أنا آخر جندي فيها، وبقية الجنود أمامي، وكنت في الكادر أذكر، أنني أصبت بالخوف للحظات، وأعتقد أنني نسيت تماماً في تلك اللحظة أنني واحد منهم!

كل ما حدث معي كان تحت سطوة الملابس وقطعة السلاح فقط! كيف لو كنت تحت سطوة حقيقة الواقع المرعب؟! سؤال مفتوح على أبواب الموت، فالجنود الإسرائيليون تتم صناعتهم تحت سطوة قوتهم وعماء بصيرتهم، فهم يتخبطون بأكوام الفشك تحت بساطيرهم الثقيلة وآلاتهم الحربية المدمرة، كيف يشعر الطيار الذي يدوس البشر بالنيران من فوق الغيم وهو يسير بسرعة الصوت، ويتعامل معنا كأهداف في لعبة فيديو، هذا الفيلم أرعبني من الداخل، هذه الشخصية التي عشتها في الأيام السابقة، كانت شخصية استفزت كل شر في داخلي. أذكر آخر يوم عندما كنا نتحرر من ملابسنا، قال نعيم نصر لي: «ما أبشع شعور الجنود بقوتهم، بعربدتهم»، نظرت إليه فأكد ذلك قائلاً: «عن جد زي الزفت»، نعم كانوا زي الزفت!

موت لئيم

أمل جمعة

لئيمة هي الأماكن عندما تحاول استعادة الزمن، كي لا تفشل تحدثه سراباً، تتمادى في تفاصيله، فلا هو لامع لندركه، ولا باهت لنشيح عنه، تفرشه بوقاحة (سرابها) على شاكلة مساء يتكرر، تلك خديعة الأمكنة !

هي لا تُغير أحوالها كثيراً، تتمسك بجغرافيا واحدة كحرزٍ من التقدم بالسن وغياب أصحابها، من يملك الآخر يا ترى؟ ومن يصنع الحكاية؟ المكان أم عاشقه؟

تحافظ الأماكن على تفاصيلها بشجر وعشب وثبات صخر على حاله، تميل دائماً لذات الاتجاه، الظل يأتي بذات الدرجة من اللون، لا فرق بين الرمادي والأخضر هنا إذا رحل الضوء، ولا بين جذع الشجرة اليابس من العطش، والآخر الهرم (الجفاف واحد) تماماً، كجوع رضيع وجدّه لغياب الأرملة الشابة ذات ظهيرة (البكاء أيضاً واحد هنا)، لا فرق يذكر، حتى لو توارى الجد باكياً في ظلمة الليل، وانفجر الرضيع صراخاً في أوج الظهيرة، الملح ذاته يتكرر في حموضة الدموع، ذات السلسلة الجينيّة وفجيعة الفقدان .

من يملك الآخر، ومن يبكي أكثر عند الرحيل؟

تبكي الأماكن، وتفجع بالغياب وتصاب بالكآبة، ويشيب منها الشعر تماماً، وتحب زماناً وتكره آخر، وتمكر وتتزين وتكشر كثيراً، وتضحك وتعبث بنا، تسقط ذات يوم، ولكنها (لئيمة جداً)، لا تمنحنا (نحن المُلاك الصغار) الفرصة للتعرف على مفرداتها ولغتها وشهقة النهاية، من شهد منكم مكاناً يموت فليصفه لي، ومن شهد منكم مكاناً يشيب ليخبرني، هل يتحول أيضا للّون الأبيض؟

الأماكن تختار مقابرها أيضاً، كما تختار عشاقها، وتطرد من لا تحبهم، وتختار النهايات، الزمن على خفته، وانعدام تكراره عابر فيها وقليل الحيلة وشديد الغرور، هو سيف قاطع، وهي جسد مثخن بالجراح.

الأماكن، نساء مقتدرات وطيبات، ودائماً في عمر الصبا.

ثلاثة مقاعد أو أربعة أو أكثر أو أقل، تتناوب على ذات المكان، وجوه وأقدام وأصابع ونملُ كثير يتصارع على صخر قلبه، تحمي الأمكنة ذاتها بفقدان الذاكرة كل يوم وقلة الاشتياق، لا تحنُ الأماكن لأحد، تمارس أحياناً هذه اللعبة عندما تحافظ لنا على مشهد دائم، ولكنها (لئيمة)، تمنح هذه الشعور لكل العابرين وبلا ثمن.

لا تتذكر الأماكن كثيراً من صاغها للمرة الأولى، ولا تحفل إن تغير الملاك والعابرين والمقيمين والعشاق، وجاهزة دوماً للصور، لا ترفض ما نكتبه عنها ولا تقبله، تلبسه وتلبس فوقه ألف ثوب ولا تتغير.

تماماً كنا نحن الثلاثة في ذات المكان، نتبارى في وصف سيرته الأخاذة، وحصته من دمنا ولهاثنا وخيبتنا، كان صراعنا كبيراً أودى بكل ما جمعناه هنا (في هذا المكان اللئيم)، وما حملناه عنوة لها، الأمكنة براء من صراعنا.

فقط تغير شيء واحد، لم نجلس على ذات المقاعد، طفلٌ شقي بدل في لعبة الكراسي مواقعنا، صار الصامت متكلماً، وصار المتكلم عابساً، وصار العابس ضاحكاً، وصار الضاحك صامتاً. صرخنا الثلاثة مرة واحدة، أين ذهب المكان الذي أحببناه؟ وأعلنا نحن الثلاثة لقد تغير المكان !

الأماكن تختار ترابها، كما تختار عشاقها، وتختار قبورها أيضاً، لئيمة جداً هي الأمكنة وماكرة عندما تموت.

amalwehda@yahoo.com

سنية صالح تخرج من ظل الماغوط

سنية صالح كاتبة وشاعرة سورية، ولدت في مدينة مصياف في محافظة حماة عام ١٩٣٥. وهي زوجة الأديب السوري محمد الماغوط، التقت به في بيت الشاعر السوري أدونيس في بيروت، في الفترة التي قضاها الماغوط هناك في أواخر الخمسينيات، وتزوجته عندما كانت طالبة في كلية الآداب في جامعة دمشق في الستينات، وأنجبت منه ابنتين هما شام وسلافة، لها عدة دواوين شعرية، توفيت سنية صالح عام ١٩٨٥ في مستشفى في ضواحي باريس، بعد صراع مع المرض استمر ١٠ شهور.

أعمالها

١. الزمان الضيق (شعر) عن المكتبة العصرية – بيروت (١٩٦٤).
٢. حبر الإعدام (شعر) عن دار أجيال – بيروت (١٩٧٠).
٣. قصائد (شعر) عن دار العودة – بيروت ١٩٨٠.
٤. ذكر الورد (كتاب) الصادر عن دار رياض الريس للكتب والنشر– بيروت ١٩٨٨.
٥. الغبار (قصص) عن مؤسسة فكر للأبحاث والنشر بيروت ١٩٨٢.

جوائز فازت بها

١. جائزة جريدة النهار لأحسن قصيدة حديثة عام ١٩٦١.
٢. جائزة مجلة «حواء» للقصة القصيرة عام ١٩٦٤.
٣. جائزة مجلة «الحسناء» للشعر عام ١٩٦٧.

يقول عنها الدكتور عابد اسماعيل في مقال له في صحيفة الحياة «من شعور دفين بالفقدان، ووعي مأساوي بفداحة العيش في الظلّ، تولد قصيدة الشاعرة السورية الراحلة سنية صالح، زوجة الشاعر محمد الماغوط. من ضبابية حلم مستحيل، أو كَدَر رغبة لا تتحقّق، تتوالد صورها الشعرية وتتواتر، ومن لحظة مغيب قصوى، تهبط كناياتها، حارة، ملتهبة، لتشعل ليل القصيدة. قصيدة حزينة، متألمة، ومتأمّلة، ترمق العالم بنظرة رثائية، وتزيح القناع عن الجوهر القاتم للوجود. قصيدة تعي عبثية الأشياء في الزمن، واتساع الخواء الكوني، الذي يتغلغل في ثنايا الروح، ويزيد البياضَ إبهاماً. أليس الشعر، كما تقول في إحدى مقدماتها: «عملية عبور النار، واشتعال الجسد والعقل والمخيلة بحمّى الكشف».

من هذا الكشف، تحملُ سنية صالح ألَمَها إلى أتون القصيدة، تدون فكرتها عن العطب الكوني، وتترجم يأسها اعترافات وجدانية حارة، ينصهر فيها الواقعي بالسريالي، والرمزي بالانطباعي. ولأنها شاعرة «فطرة» بامتياز، ولا يهمّها الشكل بذاته، فإن حسّ البنية في قصيدتها يغيب، وتتراجع الصنعة الفنية ليحضر وهج ذاك الألم الخفي فحسب. أحياناً تكون العلّة في الأنا، التي لا تهدأ لحظة عن الحلم، وأحياناً في اللغة، التي تحرن وتعاند وتراوغ، وطوراً في الثقافة، التي تكرّر آليات بطشها، وتعيد تأبيد مفاهيم وقيم آفلة، وأحياناً في التاريخ المدون ذاته، القائم على القسوة والعنف.

في شعرها يتفتّح ذاك الألم، ويورق نضراً، مشعاً، لاذعاً. وكما تشير خالدة سعيد، شقيقة الشاعرة، في تقديمها للأعمال الكاملة، التي رأت النور حديثاً، وصدرت عن وزارة الثقافة السورية، ٢٠٠٧، فإن سنية صالح طالما ربطت ولادتها بخيبة وفقدان. وتروي سعيد، في مقدمتها البديعة التي تمزج الشخصي بالفكري، والوجداني بالنقدي، كيف أن سنية كانت قليلة الكلام، حتى سن العاشرة، لكنّ صمتها لم يكن «خالياً أو مقفراً»، بل صمت من «رأى ولم يجد لما رأى تعبيراً». بيد أن سنية سرعان ما تجد طريقة لفك عقدة لسانها، وتفوز بجائزة شعرية لأفضل قصيدة عام ١٩٦١، بعنوان «جسد السماء»، كانت قد نظّمتها جريدة النهار، ومنحتها الجائزة لجنةٌ مؤلفةٌ من خمسة شعراء، هم شوقي أبي شقرا، صلاح ستيتية، فؤاد رفقة، أدونيس وأنسي الحاج، الذي كان مشرفاً على القسم الأدبي آنذاك، حيث وصف لغة القصيدة بقوله إنّ «نزعتها شخصية، وتكنيكها مناخي أكثر منه عضوي». وقد كان لافتاً الصوت الشعري المتفرد لسنية صالح في تلك القصيدة الغنائية الحزينة، والتي قال عنها عباس بيضون، بعد مرور ربع قرن، في جريدة السفير، عام ١٩٨٥، إنها «يتيمة من يتيمات الشعر الحديث ليس لها أب فارع ولا نسب قوي». هذا التفرّد ستحمله الشاعرة معها في رحلة عمرها القصيرة، وتحافظ على نبرة شخصية، ذاتية، تشيع مناخاً نفسياً، آسراً، وهذا ما يلمسه القارئ بعد الانتهاء من قراءة دواوينها التي جاءت مرتبةً في (الأعمال الكاملة) تبعاً لتسلسل نشرها: «الزمان الضيق» عام ١٩٦٤، و«حبر الإعدام» عام ١٩٧٠، و«قصائد» عام ١٩٨٠، و«ذكر الورد عام ١٩٨٨، الذي ظهر بعد وفاتها، إضافة إلى قسم جاء تحت عنوان «قصائد غير منشورة»، وضم خمس قصائد، تبرز من بينها قصيدة غير مكتملة بعنوان «ثوب الهواء»، تكشف مقدرة سنية العالية في توظيف الرّمز، والتعبير عن التجربة الداخلية بالقليل من التلميح والإيماء: «انقضضتُ على فأس المياه/ وغاص خنجر الغبار في صدري/ ما أسرع فرس الأحلام في الفرار/ وبراري المستحيل تتشقّق».

لكن تشقّق الرغبات، والركض اليائس خلف فرس الأحلام، لم يكن وليد اللحظة، فقد بدأ حقاً مع قصيدة «جسد السماء» التي تفتتح ديوانها الأول «الزمان الضيق»، وهنا نرى سنية تعلن عن رغبتها بإماطة اللثام عن صمتها، وكأنّ الأوان قد حان لتعبّر عما تراه، متخطية وعورة الخطاب الأيديولوجي السائد، وتركز على يأسها الشخصي، وتطلق نبوءة مبكرة عن ليل بدأ يزحف نحوها بخطى واثقة: «ها أنا أتدحرج كالحصى إلى القاع/ فليكن الليل آخر المطاف». على هذا المنوال، تتوالى قصائد الديوان الأول، حارة، ذاتية، داكنة، ترثي وتدين وتستشرف. في قصيدة «أغنية زنجية» من الديوان ذاته، تصل نبرة الاعتراف أوجها، وتتكلم سنية بلسان الأنثى المضطهدة، التي تجد في الشعر ملاذاً للتعبير عن تاريخ طويل من القمع والإقصاء: «أشمّ رائحة احتراقي/ آتيةً من غابة الموت/ آتيةً تهدرُ على الدروب/ وأنا وحدي الضحية». إن شعور الضحية لازمها طوال سني حياتها، كما يشير الشاعر عبده وازن، في مقال له عن علاقة سنية صالح بزوجها الشاعر محمد الماغوط، حيث أنها عاشت «ضحية شهرته ومزاجاته المتقلبة وطباعه الحادة». والغريب أن سنية صالح كانت تميل إلى التكتم على هذا العذاب اليومي، بل وتعلن نقيضَه، في أكثر من مناسبة، ففي حوار أجرته معها مجلة الحسناء عام ١٩٨٠، تعلن أنها أحبّت الماغوط «بعنف وصدق وإخلاص لا مثيل له» ثمّ تضيف: «لقد غزاني بالشعر في وقت لم يكن يملك فيه إلاّ الشعر». هذه العلاقة الملتبسة بدأت عام ١٩٦٣، إبان لقائها وارتباطها به، واستمرت حتى وفاتها عام ١٩٨٥. وتذكّرنا هذه العلاقة بمحنة الشاعرة الأميركية سيلفيا بلاث، التي انتحرت في سن الثلاثين (عام ١٩٦٣)، وكانت تربطها علاقة عاصفة بزوجها الشاعر الإنكليزي الراحل تيد هيوز.

في ديوان سنية صالح الثاني «حبر الإعدام» استمرار للنبرة الرثائية عينها، واتكاء على المكاشفة التعبيرية، وانفتاح على الذات وتناقضاتها المزمنة، ووقوع في شرك الكينونة بصفتها محنةً وبلوى، حيث تستحضر الشاعرة مناخات كئيبة، تذكّر بعوالم أبطال سارتر وكامو، وشعور هؤلاء بالغثيان من محض وجودهم في العالم. في قصيدة «الموت القاطع»، على سبيل المثال، تعبر الشاعرة عن مأزقها كضحية أزلية، حيث الموت يتربّص لها وراء الباب: «يا موت/ يا من تنتظرني على الأبواب/ حاملاً سيفك القاطع/ اتبعني... اتبعني/ أنا الضحية التي تقتفي أثرك».

والعجيب أن رؤيا الموت ستلاحقها، لتشكّل أرضية متحركة للعديد من قصائدها. في ديوانها الثالث «قصائد»، تتنوع المواضيع وتتشعّب، وتختلط نبرة الهجاء في قصائد مثل «جرذان التاريخ» أو «خريف الحرية»، بنبرة البوح الدافئة، كما في قصيدة «شام، أطلقي سراح الليل»، التي تترجم شعورها بأمومة خرافية. كما يضم هذا الديوان قصيدتها الطويلة، الرائعة، «وداعاً يا زنوبيا»، التي تتماهى فيها مع شخصية الملكة التدمرية، التي استباح الرومان مملكتها، واقتادوها إلى روما، مكبلة بالقيود. في ديوانها الرابع، «ذكر الورد»، آخر دواوينها، والذي كتبته أثناء مرضها، يهيمن هاجس الفناء، وتعلو الغنائية الشجية لتصل ذروتها، ويشف البوح، وتصل التلقائية درجة عالية من الإدهاش. طوراً نراها تستعيد صورة ابنتها، كما في قولها، «سلافة تهزّ شجرة الغيوم/ فتسقط الدموع كلّها/ الدموع التي أغفلها التاريخ»، وتارة تعيد تذكيرنا بصمتها القديم، الذي رافقها طوال سني حياتها الأولى، كأن تقول في قصيدة «رامبو الألف وبودلير العشرين»: لماذا لا تصغون إلي؟/ لساني الثقيل سيذهلكم/ إذا ما انطلق مرّة واحدة». وقد انطلق لسانها، كاشفاً عن فصاحة سلسة، صافية، تدهشنا حرارته وبدائيته، حيث الأنا تمثل بؤرة اعتراف في كل قصيدة تقريباً. في مقدمة كتبتها خصيصاً لديوان «ذكر الورد»، تشرح الشاعرة رؤيتها للقصيدة، ولفن الشعر بعامة، كاشفة عن ثقافة عميقة، ووعي مدهش بتقنيات الكتابة الشعرية.

وهي في هذا تمثل نقيض الماغوط، الذي طالما نبذ الثقافة ورفض حديث الكتب والنظريات. وإذا كانت تتقاطع مع الماغوط في تمسّكها بالتلقائية، واحترام الومضة الأولى، إلا أنها تختلف عنه من حيث فهمها لأهمية الدُربة والثقافة، وضرورة وعي تلك الآليات الشعورية واللاشعورية، التي تشكّل جوهر العمل الأدبي. أليست القصيدة، كما تقول في مقدمتها، فاعلية قائمة على الصور والاستعارات والرموز، وتنهض «على إضاءات حلمية، تقوى لحظة اضطرام الطاقة التخيلية، أو لحظة الإنفجار الداخلي»، كما أنها تقوم على الحلم ذاته، بما أن «الحلم، هو بشكل ما، واقع آخر، واقع شفاف هيولي، واقع ممكن، بل هو رحم تتوالد فيه الوقائع». هذا يعيدنا إلى مقدمتها لأعمال الماغوط، بعنوان «طفولة بريئة وإرهاب مسن»، والتي تمثل ركيزة أساسية في فهم حياة الماغوط وشعره، وفيها نقرأ جملتها الافتتاحية الشهيرة: «مأساةُ محمد الماغوط، أنه ولد في غرفة مسدلة الستائر اسمها الشرق الأوسط». وتبرز موهبة سنية النقدية أيضاً في مراجعات قليلة، أصيلة ومبدعة، لبعض نصوص أدونيس وحيدر حيدر، فضلاً عن قراءات ذكية حساسة في الأدب الإنكليزي، لبعض أعمال هينغواي وتينيسي ويليامز، كانت تنشرها في مجلة «مواقف»، ومجلة «الأحد» البيروتية.

واللافت أن قراءاتها تبحث عن المتعة في الدرجة الأولى، وهي جمالية، شعرية، في جوهرها، لا يحكمها ناظم نقدي أو منهجي. فالشاعرة تعتمد على ذائقة عالية، وثقافة حاضرة دوماً. كما أنها تجد بعضاً من ذاتها في كل ما تقرأ. فشخصية لورا في مسرحية «حديقة الحيوانات الزجاجية» لتينيسي ويليامز، تشدّ انتباه سنية صالح، بسبب ما تعانيه من ذعر داخلي في علاقتها مع العالم حولها، وما اختيارها العزلة المطبقة، بصحبة كائناتها الزجاجية البكماء، سوى فعل انسحاب من الواقع، يقترب من الانتحار البطيء. وتصف سنية حياة البطلة بقطعة زجاج شفاف «وقد مسّها الضوء فأضفى عليها تألقاً عابراً، لا هو بالحقيقي ولا هو بالدائم». ويكاد هذا الوصف ينطبق على حياة سنية ذاتها، التي اتسمت بهشاشة لا مثيل لها. كما تبرز موهبة الشاعرة النقدية أيضاً في بعض الحوارات القليلة، التي أجرتها مع بعض شعراء تلك الفترة، كالحوار الذي أجرته عام ١٩٧١ في مجلة «مواقف» مع الشاعرين ممدوح عدوان ومحمد عفيفي مطر، حيث يفاجؤنا أسلوبها المتدفق، وفكرها الوقّاد، ونقرأ تعريفاً بديعاً للقصيدة تقول فيه: «القصيدة هي في الهواء الطلق. تخرج وتدخلُ إلى الشاعر بحركة سرية، متخفية كالأرواح. تلزم لمن يتعرف إلى مسالكها عينا نبي».

بقي أن نشير إلى أن «الأعمال الكاملة»، التي جاءت في مجلد واحد، ضمّت أيضاً مجموعة قصصية يتيمة نشرتها سنية صالح عام ١٩٨٢، بعنوان «الغبار». وهي تحوي سبع قصص قصيرة، تصفها خالدة سعيد، في المقدمة، بقدرتها على «التقاط الحركة ورسم تحولات السلوك وانقلاباته»، وتبيّن نفاذاً وقدرةً خاصّة «على تصوير المواقف والحالات والمشاعر الرجراجة المسنونة المرتبكة، الواقفة فوق سراط التحول». وثمة أربع قصص أخرى، تُنشر للمرة الأولى، أُدرجت تحت عنوان «قصص غير منشورة»، وبعضها يبدو غير مكتمل، من جهة انسجام الحبكة، أو اكتمال الشخصيات. هذا التنوع من شعر وقصة ونقد وخاطرة، يكشف النقاب عن موهبة سنية صالح الكبيرة، التي لم يُقدّر لها أن تأخذ حقّها من الدرس والتحليل والنقد، ولعلّ نشر أعمالها الكاملة الآن، يمثل خطوة مهمة في إزاحة بعض الضباب الذي لفّ حياتها وشعرها، وكاد يطمس صوتها الرّيادي، بعد أن عاشت في الظلّ طويلاً، أسيرةَ مرضها العضال، وأسيرة الشهرة الطاغية لزوجها الشاعر محمد الماغوط.

ها قد أتت الطائرات

روز الشوملي

الطائراتُ الآنَ
فوقَ رام اللهَ وجسدي.
أتكهّنُ
وأنا أتبعُ صوتَها المجبولَ بالسُّمِّ
من سيكونُ الضحيةَ لهذا اليومِ؟
أيُّ فكٍّ، أيُّ هدم
ينتظرُ شُرفاتِ المتوسطِ؟

الآن
مرَّت الطائراتُ
فوق رام اللهَ وجسدي
فتكهربتْ كلُّ الدوائر حولي
لفَظَني البعدُ
فدخلْتُ تحت خمارك بيروتُ
أعيشُ حزنَك والكبرياء،

بعد قليل
تصلُ الطائراتُ
كي تحوِّلَ ليلَ بيروتَ بياضاً
وتُشعِلَ في نهارِها السواد.

حذارِ حذارِ من توليفةٍ تُختَمَرُ في العتمةِ
أضغاثُ أحلام
هذا ما ترسمُهُ أيدي العتمةِ
للشرفاتِ التي تُطِلُّ من الشرق.

ها قد وصلت الطائراتُ
فبكت قانا سبعاً وثلاثينَ نجمةً
ولم تجفَّ دمعتُها بعدُ
على الذين رحلوا في السواد.

الآن عادت الطائراتُ
فوق رامَ اللهَ وجسدي.
أبدأ بالتخمين
وأنا أتبعُ صوتَها المجبولَ بالسمِّ:
من سيكونُ الضحيةَ لهذا اليوم؟

صوتُ الطائراتِ يغتصبُ أذنيَّ كلَّ لحظةٍ
أيُّ بلدةٍ هي قانا الجديدة؟

قانا تذكِّرِ بقانا
وقانا تذكِّرُ بصبرا وشاتيلا
مجزرةٌ تذكِّرُ بأختِها
وجُرحٌ يُضافُ لذاكرةٍ لَمْ تلتئمْ

بحاجةٍ إلى صرخةٍ
بحاجةٍ إلى صرخاتٍ
كي لا نبكيَ مع كلِّ زفيرٍ قانا جديدة.

ارتفاع ضغط العين

إذا ارتفع ضغط العين عن الحد الأعلى الطبيعي، الذي هو ٢٠ ملم زئبق، يسمى ارتفاع ضغط العين، لكن إذا صاحب ارتفاع ضغط العين تغيرات مرضية في العصب البصري، يسمى الجلوكوما (او مرض الزرقاء أو الميه السودة).
الجلوكوما: معناها باللاتيني الماء الأزرق
هو مرض يصيب العين، قد يؤدي إلى العمى، إذا اكتشف مبكراً يمكن السيطرة عليه، وغالباً ما يكون المرض بدون أعراض، لذا فهو مرض خبيث. أغلب حالات الجلوكوما تحدث عندما يرتفع الضغط داخل مقلة العين، وهذا الارتفاع للضغط يصاحبه تغيرات مرضية في العصب البصري، يمكن أن تؤدي إلى تلفه وهو الذي يرسل الرسائل العصبية إلى الدماغ، يوجد نوعين للجلوكوما «مفتوحة الزاوية ومغلقة الزاوية».

الجلوكوما مفتوحة الزاوية

هو نوع شائع، وأكثر انتشاراً ويحدث تدريجياً مع ازدياد عمر الإنسان، ويحدث عندما تصبح أماكن تصريف السوائل من العين مغلقة أو ضيقة، فيقل خروج السوائل والأفرازات من العين، فيزداد ضغط السوائل داخل العين، مما يؤدي إلى قلة الرؤيا الجانبية، وهذا النقص في الرؤية يصبح بالتدريج ممكن عدم ملاحظته.
الجلوكوما مغلقة الزاوية
هو أقل شيوعاً، ويحدث بسرعة، وذلك عندما تغلق أماكن تصريف السوائل فجأة في العين، مما يؤدي إلى حدوث غباش الرؤية الفجائي، ويزداد الضغط داخل العين بسرعة، مما يؤدي إلى حدوث غباش الرؤية ورؤية ألوان الطيف حول الضوء، وشعوربصداع ودوران واستفراغ وألم شديد. إذا لم يتم علاجه بالشكل الصحيح يؤدي إلى العمى السريع.

فحص النظر الدوري

أفضل طريقة لتشخيص الجلوكوما، هو عن طريق فحص العين الدوري، ومن خلال الفحص، يستعمل طبيب العيون أدوات خاصة لفحص الضغط داخل العين، وفحص أماكن التصريف للسوائل في العين، وفحص العصب البصري، كما يفحص الساحة البصرية، ليتأكد من أنه لن يفقد البصر في جزء من الساحة البصرية.

من قد يتعرض للجلوكوما

أي شخص ممكن أن يصاب بارتفاع ضغط العين، لكن هناك أشخاص معرضين للجلوكوما بشكل أكبر، والأسباب التي تزيد من حدوث ارتفاع ضغط العين:
١- ازدياد العمر والتقدم في السن.
٢- العوامل الوراثية.
٣- بعض الأمراض مثل السكري أو ازدياد ضغط الدم.

علاج ارتفاع ضغط العين

العلاج ممكن أن يقلل من الارتفاع في ضغط العين، وهدف العلاج هو السيطرة على ضغط العين عن طريق تقليل الضغط داخل العين، والطبيب ممكن أن يصف للمريض الطريقة الصحيحة للعلاج واجراء بعض الفحوصات.
أدوية تخفيض ضغط العين:
١- القطرات
٢- الحبوب
بعض الأدوية ممكن أن يقلل السوائل داخل العين، والبعض الآخر ممكن أن يحسن تصريف هذه السوائل من العين، ويجب على المريض أن يستعمل الدواء كما وصفة الطبيب، ولا يتوقف عن العلاج حتى لو توقفت الأعراض، حيث أن ضغط العين من الممكن أن يزداد بسرعة وبدون أعراض، ويؤدي إلى ضرر في الرؤية. وإذا كان للدواء أعراض جانبية، على المريض إخبارالطبيب بذلك.
خطوات لتحسين تصريف السوائل من العين في الحالات السيئة من الجلوكوما
هناك خطوات للعلاج منها:
١- عن طريق الليزر
٢- عن طريق الجراحة حيث يمكن إيجاد أماكن أخرى لتصريف هذه السوائل.
يرجع للمريض في حماية عينيه من خطر الجلوكوما بإتباع الخطوات التالية:
١- عمل فحص دوري للعين
٢- إذا كان لديه جلوكوما استعمال الدواء كما وصفه الطبيب.
في حالة فشل الأدوية في تنزيل ضغط العين، يمكن علاج الجلوكوما (ضغط العين) بالعمليات الجراحية:
١- بإجراء عملية زراعة صمام سليكون (شبه مضخة صغيرة جداً) في الغرفة الأمامية للعين، يقوم بشفط ماء العين الزائد من الغرفة الأمامية للعي، لتنزيل ضغط العين والمحافظة على ضغط العين طبيعي.
٢- إجراء عملية جراحية تقليدية، فتح قناة خاصة لتصريف ماء العين الزائد.
٣- إجراء بالارجون ليزر فتح المسافات في شبكة شليم، في حالة ارتفاع ضغط العين ذو الزاوية المفتوحة.
٤- إجراء بالياك ليزر، قص قزحية العين في حالة ارتفاع ضغط العين ذو زاوية العين الضيقة.

هو 9 هي

درب الحكايا

ماجدولين الرفاعي

شمعة جذلى تعاقر ليلها الممزوج بالتعب، وفتيلها المخمور بالعنب، تراقص ظلها النائم على وجه الوسادة، تحدّث الجدران عن أسرارها، عن حزنها، عن يأسها، عن غربة الأحباب في مدن الشتات، عن درب الحكايا وانكسارات المرايا والأمنيات النائمات في درج الخبايا، عن صوته المصنوع من عسل الجبال الشاهقات، حين يهمس باتصال آخر الليل، أو ربما مع فجر الرواية، عن قلبه المصنوع من شُعَب المرجان في قاع الخليج.

هو هكذا، يعشق المرأة إذا ما تلوّن شعرها، وتخضبّت أطرافه بالحنّاء.

هو هكذا، تفتنه الخلاخل والأساور ومراود الكحل، وعطر الكهرمان.

هو هكذا، حبٌّ وكرهٌ وانصهارٌ، هو هكذا، حلوٌ ومرٌ، ومرات يوقد الدنيا لهيباً، واشتعال قلبه كوكب سريٌّ لم تكتشف سره سوى امرأة من نور ونار، فصار الماءُ حراً في جريانه، وتهامست الوديان والأنهارْ، هو منهلٌ عَذْبٌ، تغازل ثغره عصافيرُ الكنارْ، هو أسطورة منسّية، يكتبها ناسك الصومعة فجراً، ثم يمحوها آخر النهارْ، هو جدولٌ رقْرَاق إن همَّ بالعطاءْ هو ذلك المارد، يبارز البرقَ في أعلى سماءْ، هو بلسمٌ سحريٌّ للشفاءْ، فلتنتحر كلُّ قوارير الدواءْ، شمعةٌ جذلى، تنادم ليلها المفتونَ بالنغم، تحدّثُ الدروبَ عن حلمها، عن عرسها، عن غدها المفروش بالنرجس، عن أمسها الموشّى بالحكايا والسجايا، وبطولات الخالدين.

شمعةٌ جذلى تناجي دربَها: يا دربَ الخيبة أغلقْ كلَّ مزالج أحزاني، فالفرح صارَ رفيقَ الحلم، صديقُ البسمة، صديقُ الشجرِ المورقِ في ساحات الأعياد.

ما عاد الحزنُ يراقصُ شبابيكَ الشجن، ماعادت نكَباتُ الأمس تغازلُ غرّة أيامي. يا دربَ الخيبة عمّدنا من أخطاء المَاضي، من ألم ظلَّ يلازمُ قلبَ البهجةِ من آذار حتى نهاية تشرين!؟

يا دربَ الفرح، امسح آثار الأقدام عن رمل خطايانا، عن مدرج حَبْوِ حكايتنا، وأشعل كلَّ قناديل الليل، كي تترى مواويل الشغف!

يا دربَ الحكمة، احك لي عن ماضي العرب، عن مآثر أجدادي، عن هند باعت أساورها، كي تطعم بعضَ الأيتام ..عن حاتم ذبحَ الأشقرَ كيْ يُطْعِمَ قافلةَ عبرت مضارب أجداد الطائي، عن قيس ماتَ بليلاه، وترجّلَ عن ظهر الأيهم.

يا دربَ الأمل خذني نحو الأفق الأرحب، كي أمسكَ أهداب القمر، وأسرّح للشمس، جدائلَها.

بدعم من OPEN SOCIETY INSTITUTE
OPEN SOCIETY INSTITUTE & Soros Foundations Network

هموم عادية!!؟

بقلم: عطاف يوسف

كيف حال الطريق؟!

في قريتي «الجانية» الناس حيارى، وأصبح شغلهم الشاغل وسؤالهم الدائم، هل الطريق ستظل مغلقة أم سيعاد فتحها، وهل سيستطيعون الوصول إلى كروم زيتونهم بعد أيام أم لا؟
في صبيحة اليوم الثالث لبدء الانتفاضة، كنت مصطحبة أبنائي لإيصالهم إلى مدارسهم في رام الله، وما أن وصلنا الوادي، وفي منطقة لا يمكن للقادم كشفها من بعيد، إلا وانقض علينا أكثر من خمسين مستوطناً، بحقدهم وبأعقاب بنادقهم وعصيهم وحجارتهم، وكل ما تطاله أيديهم، قاطعين علينا الطريق، سارعت لإغلاق نوافذ السيارة، وحمدت الله أنها تغلق على الكهرباء، وبذلك حميت نفسي وأبنائي من أن يطالنا الأذى، أما السيارة فقد نالها من الأذى الكثير، حتى أن «النمرة» الفلسطينية بلونها الأخضر، قد استفزتهم كثيراً، وقاموا بنزعها ورميها في الوادي.
بعد حوالي عشر دقائق من التعرض للهجوم، حضر الجيش وخلصنا من بين براثنهم، بشرط أن أذهب إلى رام الله ولا أعود من تلك الطريق، لأنها ستغلق.
منذ ذلك اليوم بدأت مأساة أهل الجانية والقرى القريبة منها، حيث أغلقت جميع الطرق المؤدية إلى تلك القرى، ولم يكن أمامهم إلا وسيلتين للخروج من قراهم، إما استخدام أرجلهم للوصول إلى مشارف قرية عين عريك، حيث الحاجز الشهير، الذي كان يخنق المواطنين ويمعن في إذلالهم، أو المرور عبر طريق ترابي يربط بين قريتي راس كركر وكفر نعمة، ولم تكن السيارات الصغيرة قادرة على عبوره، واقتصر الأمر فقط على سيارات الفورد والشاحنات.
في الشتاء، كانت المعاناة تزداد أضعافاً، حيث الطريق يقطعها وادي تتدفق مياهه، لتأخذ في طريقها كل ما وضعه السائقون لتسهيل عبورهم له. في عام ٢٠٠٣ كان موسم المطر غزيراً، بحيث تدفقت مياه الوادي قوية، وكان السائقون قد عملوا جسرا بأيديهم، مكون من البراميل المليئة بالحصى والتراب، إلا أن المياه جرفتها، وأصبح متعذراً حتى على سيارات الفورد اجتيازه، وللوصول، كان علينا أن نستقل سيارة الفورد حتى ضفة الوادي، ثم ننزل منها حاملين أغراضنا وقاطعين الوادي نمخر عباب الماء، مبتلين حتى ركبنا، لنستقل سيارة فورد أخرى، والمياه تقطر منا مختلطة بالطين والوحل. وعندما خفت المياه أصبحت سيارة الفورد عندما تصل الوادي تربط في جرار زراعي، ليسحبها ويوصلها للضفة الأخرى.
المهم أننا «شفنا الويل»، والكثير منا لم يصمد بما فيهم أنا، وانتقلت للسكن في رام الله، لكني كنت أذهب تقريبا مرة كل أسبوع لزيارة أهلي هناك، بعد حوالي سنتين تم تعبيد تلك الطريق بعرض ٣ أمتار، لكنها كانت صعبة ومرعبة، خاصة بعد أن جرفت مياه الأمطار حوافها، وأصبح إلتقاء سيارتين فيها صعب جداً، فكيف إذا التقت شاحنتان، كانت الطريق تغلق.
بعد أن عبدت الطريق عدت للسكن في القرية، ومع كثرة شكاوي المواطنين، قامت وزارة الأشغال بتوسيع الطريق بمقدار نصف متر من كل طرف، لن أخوض في الصعوبات التي واجهناها أثاء فترة العمل في توسيع الطريق، فهي كثيرة، ولا عن الوقت الذي استغرقه العمل، فهو أيضاً طويل، لكن ما أن انتهى العمل فيها حتى أصبحت طريق معقولة، وقل خطرها على السائقين والركاب.
بعد فترة بسيطة من انتهاء العمل، قام الجيش الإسرائيلي بفتح الطريق الواصل بين قريتي راس كركر ودير ابزيع، والذي كان مخصصاً للمستوطنين فقط. أصبحت الطريق أقصر وأسهل، لكن بالنسبة لأهل قرية الجانية، ظلت في حلوقهم غصة، فهم دوماً يتوقون لطريقهم القديمة، التي توصلهم مباشرة من مفرق دير بزيع إلى قريتهم، دون المرور في قرية راس كركر.
قبل حوالي ٨ شهور بدأ أهالي راس كركر بعمل مشروع لتجديد شبكة المياه، استمر العمل فيه طويلاً، وبعد انتهاء العمل في مشروع المياه، أصبح الطريق غير صالح للاستعمال، لكثرة الحفر فيه فكان من الضروري تعبيده، وبدأ العمل بداية بحفر الشارع من أوله إلى آخره دفعة واحدة، وأصبح المرور منه جحيماً لا يطاق.
قرر أهالي الجانية التوجه للحكم العسكري، بطلب فتح الطريق، بسبب تعذر مرورهم من راس كركر، إلا أنه تم رفض طلبهم. بعد أن تم تعبيد نصف طريق راس كركر، وأصبحت الطريق معقولة وسالكة، فجأة قرر جيش الاحتلال فتح طريق الجانية دير بزيع، فكانت الفرحة شديدة، فهي تختصر عليهم حوالي ربع ساعة من الزمن، وهي أسهل، وتجنبهم المرور بالقرب من المدارس وطلابها.
لكنها كانت فرحة منقوصة، لأن الجيش قام قبل أيام بإعادة إغلاق الطريق، ويقال أنها أغلقت بمناسبة الأعياد اليهودية، فهل علينا دوماً أن نعاني عندما يعيدون؟!!

itaf1957@yahoo.com

طاقم شؤون المرأة
للإتصال أو للمراسلة
المشرفة العامة : روز شوملي مصلح
المحررة المسؤولة: لبنى الأشقر
شارع الإرسال – مركز عواد
ص.ب : ٢١٩٧ رام الله
هاتف : ٢٩٨٦٤٩٧ – فاكس: ٢٩٦٤٧٤٦
بريد الكتروني: (watc__media@palnet.com)
الآراء الواردة في الصحيفة تعبر عن رأي اصحابها
تطبع في مطابع الايام